الآيات في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

د/ عجمية السيد محمد براية
مدرس الدراسات الإسلامية
كلية الآداب – جامعة حلوان

تاريخ استلام البحث : ٢٠١٨/٨/٩م
تاريخ قبول البحث : ٢٠١٩/٨/١٣م

الملخص

يقوم البحث على التفسير الموضوعي ؛ إذ يعرض لأحد موضوعات القرآن الكريم ، و هو الآيات في القرآن الكريم . يقوم البحث على مقدمة و تمهيد و أربعة مباحث و خاتمة . أما المقدمة ، فاشتملتْ على تعريف موجز بالتفسير الموضوعي ، و أهمية الموضوع الذي اخترناه ، و أسباب الاتجاه لهذه الدراسة ، و المنهج الذي سار البحث وفقه .

أما التمهيد ، فعرض لدلالات الآيات في اللغة و الاصطلاح توطئةً لتفسيرها في القرآن الكريم .

و في المبحث الأول عرضت الباحثة لأول دلالات الآيات في القرآن ، و التي تشير إلى آيات القرآن الكريم نفسه و غيره من الوحي السماوي الذي نزل على الرسل السابقين – عليهم السلام – من خلال الآيات القرآنية التي أشارت إلى ذلك أو بينته . و خلال البحث عرضنا لما ارتبط بآيات القرآن الكريم من نسخ و فقه و تشريع ، مما يؤكد على معنى التبيين و التفقه فيها ، الأمر الذي أهلها ؛ لتحمل معنى الآية الذي بيناه في التمهيد .

و في المبحث الثاني ، عرضت الباحثة للدلالة الثانية للآيات في القرآن الكريم ، و هي معجزات الرسل التي أيدهم الله بها بناءً على طلبهم – عليهم السلام – أو بدونه ، و تبين من خلال ذلك ، كيف كانت هذه الآية جماعةً مستقلة بذاتها في الدلالة على إعجاز الله لأقوام الرسل ، كلٌّ في وقته ، و كيف تنضوي مع سابقتها في التأكيد على الآيات التي أمد الله I بها الخلق ؛ لتيسير الوصول إلى معرفة الله Y .

و في المبحث الثالث ، الوسيلة الثالثة لمعرفة الله ، و هي آيات قدرته في الخلق في الكون والإنسان ، و بينا كيف كانت الآيات في هذا المبحث مع كثيرات غيرها في القرآن الكريم البذرة الأولى التي غرست في قلب المسلم ، فأنبتت فيه حب العلم و البحث العلمي ، و أثمرت في المجتمع كله تقدمًا علميًّا شهد به الأعداء قبل غيرهم ، كما كانت الوسيلة للوصول إلى نوعٍ من الإعجاز في القرآن ، و هو الإعجاز العلمي ، يضاف إلى ما عرض له العلماء قديمًا من أنواع الإعجاز في القرآن الكريم .

و إذا كانت المباحث الثلاثة الأولى تتحدث عن الآيات التي تعرف الخلق بخالقهم ، فإن المبحث الرابع يعرض لآياتٍ تترتب على موقف البشر من الأنواع الثلاثة السابقة ، فمن آمن بها أنجاه الله وجعل نجاته آية، و من كفر بها وجحدها أهلكه الله و استأصله ، و جعل ذلك آية للبشر و عبرةً أيضًا .

و في الخاتمة ، ختمنا الحديث بأهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة . و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

الكلمات المفتاحية :.

آيات القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة ، الآيات معجزات الرسل التي أجراها الله على أيديهم

الآيات دلائل القدرة في خلق الآفاق والأنفس ، الآيات عاقبة المؤمنين والكافرين بالرسل

Abstract

It presents. The research is based on an introduction, a preface, four questions, and a conclusion. The introduction included a brief definition of the objective interpretation, the importance of the topic that we chose, the reasons for the direction of this study, and the approach to the research and its jurisprudence.

As for the preamble, it presents the signs of the verses in the language and terminology in order to explain them in the Holy Quran.

In the first section, the researcher presented the first signs of the verses in the Qur'an, which refer to the verses of the Holy Quran itself and other divine revelation that descended on the former messengers - peace be upon them - through the Quranic verses that referred to it or indicated it. During the research, we presented what was associated with the verses of the Holy Quran from copies, jurisprudence and legislation, which confirms the meaning of the meaning and the understanding in it, which enabled them to take the meaning of the verse that they showed in the preamble.

In the second part, the researcher presented the second indication of the verses in the Holy Quran, and they are the miracles of the apostles, which God supported them at their request - peace be upon them - or without it, and it shows how this verse was an independent group in itself indicative of the miracle of God To the apostles, all in its time, and how to combine with its predecessor in emphasizing the verses that God provided creation; to facilitate access to the knowledge of God.And in the third section, the third means to know God, which is the verses of his ability in creation in the universe and human, and showed how the verses in this study with many others in the Koran seed first planted in the heart of Muslim, Vntbt where love science and scientific research , And resulted in the entire society scientific progress witnessed by the enemies before others, and was the means to reach a kind of miracles in the Koran, which is scientific miracle, in addition to what scientists have presented to the ancient types of miracles in the Koran.And if the first three mabahith speaks about the verses that define creation by their Creator, the fourth section presents the signs of the position of human beings from the three previous types. Whoever believes in Allah's intention and makes His salvation a sign, and whoever disbelieves in it and destroys it, Allah will destroy him and remove him. This is a sign of mankind and a lesson too.In conclusion, we concluded the conversation with the most important findings of the researcher. Thank God that His grace is righteous .

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريم كتاب هدايةٍ من رب البشر إليهم ، يدلهم فيه على خيرهم أولى و آخرة ، و يحذرهم من ضده . وكان ذلك عن طريق حديث الحق Y في القرآن عن العديد من الموضوعات .

و الناظر في كتاب الله Y يروعه هذا النظام القرآني في سرد الموضوعات ، فعلى الرغم من أن الألفاظ المشتقة من أصلٍ لغوي واحد موزعةً على سور القرآن كلها ، فإننا نتبين – بعد إنعام النظر – أن ثمة روابط تربط بين هذه الألفاظ ، بحيث يمكن أن يتشكل منها قضيةً قائمةً بذاتها قد تحدث عنها القرآن الكريم .

و إذا تخيلنا أن كل مجموعة ألفاظ – من أصلٍ لغوي واحد – في القرآن يمكن أن يتبلور منها أحد الموضوعات التي عرض لها القرآن في سياق حديثه ، فإننا بجمعها ، نكون بصدد معجمٍ كبير لموضوعات القرآن الكريم ، يمكن على أثره أن نضع تفسيرًا موضوعيًّا شاملاً لموضوعات القرآن الكريم ، تتجدد معه نظرة المفسر المسلم في هدايات القرآن الكريم . و قد اجتهد المفسرون في العصر الحديث ؛ لتحقيق المرجو من هذا التفسير الذي يتناسب مع التقدم العلمي ، و انفتاح البشر ذوي الحضارات المختلفة على بعضهم البعض .

و قد تعددت التعريفات التي وضعها العلماء للتفسير الموضوعي ، من أفضلها ما ذكره د عبد الستار فتح الله ؛ إذ رأى أنه تفسيرٌ " يبحث في قضايا القرآن الكريم التي تتفق معنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة والنظر فيها على هيئة مخصوصة لبيان معناها واستخراج عناصرها و ربطها برباط جامع " . [1] أشار بذلك د عبد الستار إلى نوعين من التفسير الموضوعي [2]

الأول : التفسير الموضوعي العام : وهو الذي بين أطراف موضوعه وحدة في الغاية فقط و ليس في أصل المعنى . و عد منه العلماء الوحدة الموضوعية في القرآن كله ، أو في سورةٍ منه . و من أبرز أصحابه د محمد عبد الله دراز في النبأ العظيم الذي فسر فيه سورة البقرة ، و كذا د محمد توفيق في العزف على أنوار الذكر الذي تحدث فيه عن اشتمال السور القرآنية على معانٍ كليةٍ مترابطة ، و عن تقسيم السور إلى معاقد " مطلع – قلب – خاتمة " .[3] و منه الشيخ الغزالي في كتابه نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، الذي حاول فيه رسم " صورة شمسية لها تتناول أولها و آخرها ،وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها وتجعل أولها تمهيدا لآخرها ، وآخرها تصديقا لأولها " . [4]

كما أشرف الدكتور مصطفى مسلم على التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم الذي قام به نخبةٌ من علماء التفسير و علماء القرآن . و غيرهم كثير .

---

(١) . المدخل للتفسير الموضوعي ، عبد الستار فتح الله سعيد ، دار التوزيع و النشر الإسلامية ، القاهرة ، ط ثانية ١٤١١هـ ١٩٩١م ، ص٢٠ .

[2] المرجع السابق ، ص٢٤ ، ٢٥ .

[3] استغرق ذلك عدة فصولٍ من كتابه .

(٤) . نحو تفسير موضوعي ص٥

الثاني : التفسير الموضوعي الخاص : و هو الذي يقوم على وحدة المعنى و الغاية بين أطرافه وأفراده ، فتكون الرابطة بينها خاصة و قريبة . و قد ظهر لهذا الاتجاه من التفسير إرهاصات في عصور مختلفة ، منها تفسير السلف للقرآن بالقرآن و إن لم يشمل تفسيرهم كل آيات الموضوع الواحد . و منها تفسير المتشابه من آيات القرآن الكريم كما في بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ، و في البرهان للكرماني ، و في كشف المعاني في متشابه المثاني لابن جماعة . ومنه أيضا المؤلفات التي اهتمت بموضوعات معينة في القرآن منها : التبيان في أقسام القرآن والأمثال في القرآن و هما للإمام ابن القيم .و من التفاسير التي اهتمت بهذا الاتجاه أضواء البيان للشنقيطي ؛ إذ كان يعرض عند تفسير الآية كل ما يرتبط بها من آيات مماثلة أو متشابهة في سورٍ أخرى ، حتى إذا جاء آن تفسير هذه الآيات أحال القارئ إلى موضعها مع الآية الأولى . و منها التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب .

و النوع الثاني من التفسير الموضوعي ، هو ما تقوم عليه هذه الدراسة ؛ و خطواتها الموضوعية تقوم على تحديد الموضوع القرآني المراد بحثه تحديدا دقيقا ، و جمع الآيات القرآنية التي تتناوله ؛ باعتبارها المادة العلمية الأصلية للموضوع ثم ترتيبها موضوعيًّا ، بتقسيمها إلى عناصر للموضوع مترابطة منتزعة من الآيات ذاتها .

و التفسير الموضوعي من أمتع أنواع تفسير كتاب الله Y ؛ لأنه يمتع نظرك في الكتاب الكريم كله من أوله إلى آخره ، فيمنحك نظرةً كليةً و شاملة على الموضوع القرآني كلٌّ حسب اجتهاده . والآيات التي ورد فيها لفظ " الآيات " بالجمع و الإفراد تلفت الانتباه ؛ لكثرتها من جهة ، و تنوعها و تكاملها من جهةٍ أخرى ، و هذا ما دفعني لإنشاء هذا البحث ، و أسلط فيه الضوء على " الآيات " كيف تناولها القرآن الكريم ، وجعلت البحث بعنوان " الآيات في القرآن الكريم . دراسةٌ موضوعية " أهدف منه إلى وضع لبنة في بناء التفسير الموضوعي لقضايا القرآن الكريم ، عن طريق دراسة آيات الموضوع دراسةً متكاملة ، مع الاستعانة بعلوم القرآن و السنة ، و كذا تفاسير القرآن الكريم القديمة والحديثة ، بما يساعد على "تنسم هداياتها و تلمس مقاصدها و استخراج مكنوناتها " . [٥]

و يقوم منهج البحث على مقدمة و خمسة مباحث و خاتمة ، أفصل بها الفكرة التي يقوم البحث عليها . و في الختام أسأل الله أن يتقبل بحثي بقبولٍ حسن و ينبته نباتًا حسنًا نافعًا خالصًا لوجهه الكريم و لخدمة القرآن العظيم .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

[٥] دراسات في التفسير الموضوعي ، الألمعي ، ص١٥ .

تمهيد : الآيات لغةً و اصطلاحًا

أولاً : في اللغة .

أصل الآية من الفعل " أَيَى " كما قال ابن فارس : [1] " الْهَمْزَةُ وَالْيَاءُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ النَّظَرُ. يُقَالُ: تَأَيَّا يَتَأَيَّا تَأَيِّيًا ، أَيْ: تَمَكَّثَ. و ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: تَأَيَّيْتُ [الْأَمْرَ] : انْتَظَرْتَ إِمْكَانَهُ " .

و تأيَّا بالمكان يتأيا تأييًا : " إذا أقام به " [2] ، و منه قيل عن الآية : العلامة ؛ ربما لأنها تحتاج للنظر والتأمل و التؤدة فيهما . و أورد أبو بكر الأنباري فيها قولان :[3] الأول : قول أبي عبيدة : الآية العلامة ، ومنه سميت الآية في القرآن ؛ لأنها " علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها والذي بعدها " [4] . و قريبٌ منها الآيَةُ بمعنى " الأمارَةُ . قَالُوا: افْعَلْه بآيَةِ كَذَا ، كَمَا تقولُ بأمارَةِ كَذَا " . [5]

الثاني: أن تكون سميت آية ؛ لأنها " جماعة حروف من القرآن، وطائفة منه " [6]. قال أبو عمرو : خرج القوم بآيتهم، أي: خرجوا بجماعتهم " . [7]

و في الآية قول ثالث ، هو أنها سميت آية " لأنها عجب ؛ ذلك أن قارئها يستدل ، إذا قرأها ، على مُباينتها كلام المخلوقين، ويعلم أن العالم يعجزون عن التكلم بمثلها " . [8] و أورد الزبيدي في ذلك أن " آياتُ اللَّهِ: عَجائِبُه " . [9] و قول الزبيدي يشير إلى أن الآيات تشمل الآيات القرآنية ، و غيرها ، مما ينطبق عليه المعنى ذاته ؛ لذا كان من دلالات الآية " العبرة " . قالَ الفرَّاءُ : الآيَةُ مِن الآياتِ والعِبَر . و قد جمع المعجم الوسيط المعاني السابقة و غيرها ، فبين أن " الْآيَة : الْعَلامَة والأمارة وَالْعبْرَة . قَالَ تَعَالَى : [10] {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً} والمعجزة قَالَ تَعَالَى : [11]{وَجَعَلْنَا مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً }

ثانيًا : في الاصطلاح .

لا تبتعد الآية في الاصطلاح عنها في اللغة ، يعرفها العكبري بقوله :[12] " الْآيَة فِي الأَصْل الْعَلامَة الظَّاهِرَة واشتقاقها من أَي لِأَنَّهَا تبين أيًّا عَن أَي وتستعمل فِي المحسوسات والمعقولات . يُقَال لكل مَا يتَفَاوَت بِهِ الْمعرفَة بِحَسب التفكر والتأمل فِيهِ ، وبحسب منَازِل النَّاس فِي الْعلم آيَة " . و بقوله " المحسوسات والمعقولات " يشير إلى أن منها آياتٌ حسية ، و أخرى عقلية . فالحسية كإحياء الْمَوْتَى

---

١ مقاييس اللغة ، لابن فارس ، ج١ ص ١٦٧ .

٢ جمهرة اللغة لابن دريد ج١ ص٢٥١ .

٣ الزاهر في معاني كلمات الناس ، لأبي بكر الأنباري ج١ ص٢٤١

٤ المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

٥ تاج العروس للزبيدي ج٣٧ ص١٢٤ .

٦ مقاييس اللغة ، لابن فارس ج١ ص١٦٩

٧ مقاييس اللغة لابن فارس ج١ ص١٦٩ .

٨٨ الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري ج١ ص٧٦ ، ٧٧ .

٩ تاج العروس للزبيدي ، ج٣٧ ص١٢٧ .

١٠ سورة يونس ، الآية رقم ٩٢ .

١١ سورة المؤمنون ، الآية رقم ٥٠ .

١٢ **الكليات للعكبري ص ١٥٠**

– الذي آتاه الله عيسى υ ، ونبع المَاء من الْأَصَابِع – الذي آتاه الله نبينا محمدًا ρ ، والعقلية كَالْعلمِ بالمغيبات . و منها أيضًا الآيات " الذوقية الحدسية ، كالقرآن " [1] ؛ لأنها لأصحاب القلوب الحية . والملاحظ أن الآيات – هنا – ترادف المعجزات التي تخرق العادة ، ويعجز البشر عن الإتيان بمثلها . و قد بيَّن العكبري أنه ظاهريًّا "الأولى أقوى ثمَّ الثَّانِيَة ثمَّ الثَّالِثَة، وَفِي الْبَاطِن والشرف على الْعَكْس، وَالْإِيمَان بِسَبَب الأولى أقل ثَوابًا، وَتَركه أَشد عقَابا، ثمَّ الثَّانِيَة ثمَّ الثَّالِثَة، فَهُوَ أَكثر ثَوابًا وَتَركه أقل عقَابا " [2] . و هذا قريبٌ مما قصده أبو عمر الزاهد في تفسير قوله تعالى : [3]{ وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا}حيث قال : " يَعْنِي بِالْآيَاتِ – هَاهُنَا – الْآيَات الشرطيات، الَّتِي يشْتَرط مَعهَا: لَو كَذبْتُمْ بهَا هلكتم، وَإِنَّمَا تَركهَا رَحْمَة لأمة مُحَمَّد ρ " [4] ، فالآيات الشرطيات ، المعجزات الحسية التي أجراها الله على يد أنبيائه ، كناقة صالحٍ υ التي ذكرت في الآية الكريمة و قتلها الرهط المفسدون من قومه ، فأنزل الله عليهم العقاب ؛ لظهور الإعجاز بها.

المبحث الأول : الآيات في سياق حديث القرآن عن القرآن و الكتب السماوية السابقة

ورد في القرآن الكريم حديثٌ عن القرآن نفسه في نحو مائة آية ، تناولت الكثير من الأمور التي تتعلق به ، مثل توصيف القرآن و بيان حقيقته . في سورة البقرة ، يقول الحق I : [5]{وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُون} يقول الطبري: [6] " أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ دَالَّاتٍ دَالَّاتٍ عَلَى نُبُوَّتِكَ . وَتِلْكَ الْآيَاتُ هِيَ مَا حَوَاهُ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ρ " . و استعرض الرازي الأقوال في الآية ، ثم قال : [7] " الْأَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الآيات البينات ، الْقُرْآنِ الَّذِي لَا يَأْتِي بِمِثْلِهِ الْجِنُّ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا " .

و في توجيه إطلاق الآيات على القرآن الكريم ، عرض المفسرون لعدة أمور ، أشار الطبري إلى ما فيه من " خَفَايَا عُلُومِ الْيَهُودِ وَمَكْنُونِ سَرَائِرِ أَخْبَارِهِمْ ، وَالنَّبَأ عَمَّا تَضَمَّنَتْهُ كُتُبُهُمُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهَا إِلَّا أَحْبَارُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ، وَمَا حَرَّفَهُ أَوَائِلُهُمْ وَأَوَاخِرُهُمْ وَبَدَّلُوهُ مِنْ أَحْكَامِهِمْ ، فَأَطْلَعَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . [8] و هذا يناسب سياق الآيات التي وردت فيها الآية السابقة ؛ إذ تتحدث عن اليهود و فعالهم مع رسول الله ρ .

زاد السمرقندي في بيان معناها ، فقال : [9] "مبينات للحلال والحرام " ، و ذكر الرازي فيها عدة وجوهٍ : "أَحَدُهَا: أَنَّ الْآيَةَ هِيَ الدَّالَّةُ . وَإِذَا كَانَتْ أَبْعَاضُ الْقُرْآنِ دَالَّةً بِفَصَاحَتِهَا عَلَى صِدْقِ الْمُدَّعِي

---

[1] المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

[2] المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

[3] سورة الإسراء ، الآية رقم ٥٩ .

[4] ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لأبي عمر الزاهد ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

[5] سورة البقرة ، الآية رقم ٩٩ .

[6] جامع البيان للطبري ج٢ ص٣٠٤ .

[7] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣/ ٦١٤)

[8] جامع البيان للطبري ج٢ ص٣٠٤ .

[9] تفسير السمرقندي = بحر العلوم (١/ ٧٦)

كَانَتْ آيَاتٍ، وَثَانِيهَا: أَنَّ مِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى الْإِخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ فَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى تِلْكَ الْغُيُوبِ، وَثَالِثُهَا: أَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالشَّرَائِعِ فَهِيَ آيَاتٌ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ " . [1]

جاء هذا التوصيف في مواضع عدة ، باللفظ نفسه ، أو بلفظ آخر . في سورة الأنعام يقول I : [2]{وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون} تمتاز سورة الأنعام بكثرة آياتها التي تحدثت عن القرآن الكريم ، كما تمتاز بكثرة ما فيها من "التقريرات والتلقينات ؛ لاستنقاذ العقل العربي مما تردى فيه " [3] ، فكان من هذه التقريرات ، مصير الظالمين من البشر الذين أبوا دعوة الرسل ورفضوها . و كان منها الحديث عن عجائب صنع الله في الكون ؛ لذا سُبِقت الآية موضع التفسير ، بقوله I : [4] {قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا} و البصائر هي تلك الحجج التي بينها الحق في سياق الآيات الكريمة ، في تنويع وتلوينٍ بديعين . ذكر الماوردي في تصريفها ثلاثة أوجه : [5] " أحدها: أن يتلو بعضها بعضاً فلا ينقطع التنزيل . والثاني: أن الآية تنصرف تنصرف في معان متغايرة مبالغة في الإعجاز ومباينة لكلام البشر. والثالث: أنه اختلاف ما تضمنها من الوعد والوعيد والأمر والنهي ، ليكون أبلغ في الزجر ، وأدعى إلى الإجابة "

و في سورة فصلت ، يقول الحق I : [6] {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا }

يقول الرازي : [7] " الْمُرَادُ أَنَّهُ فُرِّقَتْ آيَاتُهُ وَجُعِلَتْ تَفَاصِيل فِي مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ فَبَعْضُهَا فِي وَصْفِ ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ... وَعَجَائِبِ أَحْوَالِ خلقه السموات وَالْأَرْضَ وَالْكَوَاكِبَ وَتَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَبَعْضُهَا فِي أَحْوَالِ التَّكَالِيفِ ، وَبَعْضُهَا فِي الوعد والوعيد ، وَبَعْضُهَا فِي الْمَوَاعِظِ وَبَعْضُهَا فِي تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ ، وَبَعْضُهَا فِي قَصَصِ الْأَوَّلِينَ ، وَبِالْجُمْلَةِ فَمَنْ أَنْصَفَ عَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِ الْخَلْقِ كِتَابٌ اجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْعُلُومِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْمَبَاحِثِ الْمُتَبَايِنَةِ مِثْلُ مَا فِي الْقُرْآنِ " . نخرج مما سبق إلى أن المفسرين وجهوا " التصريف و التفصيل " في الآيات إلى معانٍ متقاربة ؛ إذ بينوا أن الله I يصرف الآيات هذا التصريفِ البديعِ ؛ ليكشف عن معانٍ و حقائق في مجالاتٍ عدة . هذا التصريف و التفصيل من الحق I ، لابد أن يقابله تفكر و تأمل من العبد ؛ لأن الله I صرف

الآيات وفصلها ؛ لتكون مرتعًا للتدبر . يقول الحق I : [8] {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَاب} يبين الحق I الحكمة من إنزال القرآن الكريم ، و هي التدبر و التفكر ، فالمعنى : [9] " هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك يا محمد ، أنزلناه إليك ؛ ليتدبروا آياته و يتفكروا بما فيها

---

[1] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣/ ٦١٤)

[2] سورة الأنعام ، الآية رقم ١٠٥ .

[3] نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي ، ص ٩٣ .

[4] سورة الأنعام ، الآية رقم ١٠٤ .

[5] تفسير الماوردي = النكت والعيون (٢/ ١٥٣)

[6] سورة فصلت ، الآية رقم ٣ .

[7] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٧/ ٥٣٨)

[8] سورة ص ، الآية رقم ٢٩ .

[9] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، د مصطفى مسلم ، ج٦ ص٤٥١ .

من الأسرار العجيبة والحكم الجليلة ؛ و ليتعظ بهذا القرآن أصحاب العقول السليمة " . و الملاحظ أن الكتب السماوية تشارك القرآن الكريم في هذا الوصف ؛ لذا تعددت الآيات التي وصفت الكتب السابقة بالآيات ، حتى جعلها الحق I عامة في وحيه ، يفهم ذلك من قوله I : [1] {يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون}الآية الكريمة وردت عقب قصة آدم υ وإغواء الشيطان له ؛ و لأن إغواءه يمتد إلى ذرية آدم υ ، كان من حكمته I إرسال الرسل υ إلى بني آدم في كل عصر ؛ و عليه فالمراد من بني آدم " جميع الأمم والمعنى إن يجئْكمُ رسلي الذين أرسلتهم إليكم يبينون لكم الأحكام والشرائع ... " [2] و هي إشارةٌ إلى مهمة التبليغ من الرسل υ ، فالآيات المذكورة في الآية تشير إلى ما ينزل على الرسل υ من وحي يتضمن القصص و الأخبار و التكاليف الشرعية و "الآيات الكونية الدالة على قدرة الله تعالى، وعلى وحدانيته ، وتشمل المعجزات الباهرة التي تدل على الرسالة " . [3] و قد تكرر الوصف السابق للكتب السماوية في آياتٍ عدة ، في سورة آل عمران و سورة الأنعام . [4]

و استقراء الآيات القرآنية يشير إلى تشابهٍ آخر بين القرآن و ما سبقه من كتبٍ سماوية ، يتمثل في موقف الناس من الوحي السماوي بين كافرٍ و مؤمن ، و هو ما يعرض في موضعٍ لاحقٍ من البحث.

و لكن تدبر الآيات القرآنية – بوجهٍ خاص – أثمر ثمارًا يانعة نلاحظها في إنتاج العلماء من تدبرهم فيها ، الأمر الذي ورد في القرآن نفسه ؛ إذ كثيرًا ما ربط القرآن الكريم بين تصريف الآيات و بيان العديد من الحقائق الكونية [5] والأحكام الشرعية .

أولاً : تبيين الآيات و الأحكام الشرعية .

تناول العديد من آيات هذا المبحث ، الحديث عن بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات والمعاملات ؛ واطرد فيها ختم الآيات بالحديث عن تبيينها . في سورة البقرة يقول سبحانه : [6]

{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ ... وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُون}

الآية السابقة إحدى الآيات التي اختتمت بتقرير الحق I تبيين الآيات القرآنية . و هي تتضمن بيان بعض أَحْكَامِ الصِّيَامِ جاء في حديث البراء بن عازب ψ : [7] "لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لاَ يَقْرَبُونَ

---

[1] سورة الأعراف ، الآية رقم ٣٥ .

[2] صفوة التفاسير (١/ ٤١٢)

[3] زهرة التفاسير (٦/ ٢٨٢٧)

[4] الآيتان رقم ١١٣ ، و رقم ١٣٠ ، على الترتيب .

[5] يأتي التفصيل في حديث القرآن عنها في موضعٍ لاحق .

[6] سورة البقرة ، الآية رقم ١٨٧ .

[7] صحيح البخاري (٦/ ٢٥)

النِّسَاءَ رَمَضَانَ كُلَّهُ ، وَكَانَ رِجَالٌ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ) ؛ و لذا جاء في تفسير الآية الكريمة : [1] " أحَلَّ الله لكم ليلة الصوم إتيان نسائكم ؛ لاختلاطكم بهن واختلاطهن بكم في النهار

والمبيت، فلا تتحرجوا من مباشرتهن..... " . اجتهد أصحاب المذاهب الفقهية في تدبر الآية الكريمة ؛ لاستخراج أحكام الصيام في هذه المسائل ، حتى عرض القرطبي في تفسيرها لما يزيد على ثلاثين مسألة [2] ، ولا عجب ، فالآية الكريمة من الآيات الطويلة ؛ وسر طولها ما فيها من توضيح و بيان لأحكام الصيام والاعتكاف ؛ لذا اختتمت بالتأكيد على معنى بيان الأحكام ؛ يقول الطاهر بن عاشور: [3]

[3] "أَيْ كَمَا بَين الله أَحْكَامَ الصِّيَامِ يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ أَي جَمِيع آياته لِجَمِيعِ النَّاسِ، وَالْمَقْصِدُ أَنَّ هَذَا شَأْنُ اللَّهِ فِي إِيضَاحِ أَحْكَامِهِ لِئَلَّا يَلْتَبِسَ شَيْءٌ مِنْهَا عَلَى النَّاسِ ؛ إِرَادَةٌ لِاتِّقَائِهِمُ الْوُقُوعَ فِي الْمُخَالَفَةِ، لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يُبَيِّنْ لَهُمُ الْأَحْكَامَ لَمَا اهْتَدَوْا لِطَرِيقِ الِامْتِثَالِ" .

الآية الثانية من سورة المائدة ، يقول الحق I : [4] {لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ ... ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون}الآية الكريمة تتحدث عن كفارة يمين اللغو . جاء في الدر المنثور : [5] " عَن ابْن عَبَّاس قَالَ : لما نزلت فِي الْقَوْم الَّذين كَانُوا حرَّموا النِّسَاء وَاللَّحم على أنفسهم قَالُوا : يَا رَسُول الله كَيفَ نصْنَع بأيماننا الَّتِي حلفنا عَلَيْهَا فَأنْزل الله لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ " يقول القرطبي :[6] " الْمَعْنَى ، إِذَا أَتَيْتُمْ الْيَمِينِ ثُمَّ أَلْغَيْتُمُوهَا– أَيْ أَسْقَطْتُمْ حُكْمَهَا بِالتَّكْفِيرِ وَكَفَّرْتُمْ– فَلَا يُؤَاخِذُكُمُ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ " . و الآية الكريمة عمدةٌ في الفقه ، اعتمد عليها الفقهاء في بيان فقه اليمين و أقسامه وحكم كل قسمٍ منها ، و الآية بينت حكم يمين اللغو ؛ إذ خُيِّرَ الحالف إذا حنث بين أمور ثلاثة ، يقول : [7] " فإن حنثتم فيما حلفتم عليه فعليكم ، أن تفعلوا ما يغفر ذنوبكم بنقض اليمين، بأن تطعموا تطعموا عشرة فقراء يوماً من غير سَرَفٍ ولا تقتير. أو بأن تكسوا عشرة من الفقراء كسوة معتادة، أو بأن تحرروا إنساناً من الرق. فإذا لم يتمكن الحالف من أحد هذه الأمور فعليه أن يصوم ثلاثة أيام " .

و الملاحظ أن آيتي البقرة و المائدة ، اقترن تقرير التبيين في فاصلة كلٍّ منهما بعلة التبيين ، وهو تحقيق تقوى الله في قلب العبد في الأولى و تحقيق شكر الله في التيسير في الثانية يقول الزمخشري : [8]

---

[1] المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٤٢)

[2] تفسير القرطبي ، ج٢ ص٣١٤ : ص٣٣٧ .

[3] التحرير والتنوير (٢/ ١٨٦)

[4] سورة المائدة ، الآية رقم ٨٩ .

[5] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ١٤٩ ، ١٥٠)

[6] تفسير القرطبي (٦/ ٢٦٥)

[7] المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، ص١٦٢ .

[8] تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٦٧٤)

" كَذَلِكَ مثل ذلك البيان يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ أعلام شريعته وأحكامه لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه " . و في سورة النور ، يقول I : [1] {وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيم}

و تتكرر في آيةٍ أخرى ، يقول I : [2] {لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن

تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ ... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون}

تهتم سورة النور ببيان الآداب الاجتماعية ، لاسيما ما بداخل البيوت ، و قد أشار الحق إلى أهميتها من بداية السورة ، حين بدأها بقوله I: [3] {سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون}و تم التأكيد على معنى "الآيات البينات " حين تكرر هذا الوصف أكثر من مرة في السورة ، و كان هذا عقب الحديث عن بعض أحكام المعاشرة و المخالطة في المجتمع الإسلامي ، فعقب عرض السورة لأحكام الحجاب و النكاح ، جاء قوله I : [4] {وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِين} ثم تكررت الإشارة إلى معنى التبيين في الآية موضع التفسير عقب الحديث عن أحكام الاستئذان من ملك اليمين والأطفال ، و كأن الآيات الكريمة نورٌ على نور ، " عرض ممتد متنوّع يستوفى أدب المعاشرة والمعايشة بين الناس والناس" [5] ؛ و لذا جاء في ختام الآية التأكيد على معنى التبيين من قبله I ، والمعنى : " مثل هذا البيان الجليّ ، يبين الله لكم الآيات، ويجئ بها محكمة لا تحتاج إلى تأويل ؛ حتى تستقيموا عليها وَاللَّهُ عَلِيمٌ بما يصلح حياتكم ، حَكِيمٌ في وصف الدواء " [6]

ثانياً : تفصيل الآيات و ضرب الأمثال للناس .

ورد في القرآن الكريم من الأمثلة الصريحة " واحدٌ و أربعون مثلاً " [7] إلى جانب الأمثلة الكامنة التي لم يصرح فيها بلفظ المثل ، مما يعني أن ضرب الأمثال منهجٌ في القرآن الكريم ، فضرب الأمثال "أسلوب من أساليب القرآن للبيان والتوضيح وتقريب المسائل إلى الأفهام " . [8] و قد اجتهد العلماء في في تدبر أمثال القرآن الكريم ، فأخرجوا لنا كنوز المعاني [9] .

---

[1] سورة النور ، الآية رقم ٥٩ .

[2] سورة النور ، الآية رقم ٦١ .

[3] سورة النور ، الآية رقم ١ .

[4] سورة النور ، الآية رقم ٣٤ .

[5] التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ، بتصرفٍ بسيط (٩/ ١٣١٩)

[6] المرجع السابق ، ص١٣٢١ .

[7] موقع طريق الإسلام ، أبو حفص عماد الدين فضلون .

[8] تفسير الشعراوي (١٨/ ١١٣٩٥)

[9] منها الأمثال في القرآن لابن القيم ، و الأمثال من الكتاب و السنة للترمذي ، و غيرهما .

يقول I : [1] {ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون}الآية تتضمن " دليلاً عقليًا على بطلان الشرك بقياس الأولى . وخلاصة هذا الدليل :إن من المقرر لدى المخاطبين كراهية السيد الغني مشاركة عبده له ؛ فإذا تقررت هذه القاعدة ، فيجب أن يحكم له بها. بل هو أولى بهذا الحكم لكمال سؤدده وغناه، فيعتقد كراهته لأن يكون أحد من عبيده شريكًا له في العبادة ، ولكونه ليس له كفُؤٌ فيبطل بذلك الشرك من أساسه " [2]. و لذا ختمت الآية بتقرير تفصيل الآيات لأولي الألباب ؛ فهذا البيان يوضح " البراهين والحجج لأصحاب العقول السليمة الذين ينتفعون بها " . [3] فضرب المثل نوع من تفصيل الآيات القرآنية ، كبيان الأحكام الشرعية ، و ما يعقله وينتفع به إلا عالم ، كما جاء في قوله I : [4] {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُون}

ثالثاً : قضية النسخ في آيات القرآن الكريم .

أشار الحق I إلى النسخ المتعلق بالقرآن الكريم ، باللفظ الصريح في موضعين . في سورة البقرة يقول I : [5]{مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير} و في سورة النحل : [6] {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ} هذا إلى جانب ذكره بالإشارة في موضعٍ ثالث[7] . والمراد من كلمة (آية) "الآية القرآنية " . أورد الطبري قول قتادة : [8] " ما ننسخ من من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، كان ينسخ الآية بالآية بعدها " . و قوله : [9] " (وَإِذَا بَدَّلْنَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) هو كقوله (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا) " . ويقول ابن الجوزي في سبب نزول الآية إن " الله تعالى كان ينزِّل الآية ، فيُعمَل بها مدة ثم ينسخها ، فقال كفار قريش : والله ما محمد إلاَّ يسخر من أصحابه، يأمرهم اليوم بأمر ، ويأتيهم غداً بما هو أهون عليهم منه ، فنزلت هذه الآية " . [10]

و المقصود بالنسخ في الآيات القرآنية هو الأحكام المتضمنة فيها ؛ إذ عرفه العلماء بأنه : " رفع حكمٍ شرعي بدليلٍ شرعي متأخر " . [11] و قد أشار لذلك أكثر من مفسر ، فالطبري يبين أن المقصود في آية سورة البقرة " ما ننقل من حكم آية ، إلى غيره فنبدله ونغيره " [12]. و قال الشوكاني : [1] " وَذَلِكَ

---

[1] سورة الروم ، الآية رقم ٢٨ .

[2] الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . (٣/ ٩٠٤)

[3] التفسير الميسر (١/ ٤٠٧)

[4] سورة العنكبوت ، الآية رقم ٤٣ .

[5] سورة البقرة ، الآية رقم ١٠٦ .

[6] سورة النحل ، الآية رقم ١٠١ .

[7] كما في سورة الرعد ، الآية رقم ٣٩ .

[8] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢/ ٤٧٤)

[9] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٢٩٧)

[10] زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٨٣)

[11] النسخ في القرآن الكريم ، د مصطفى زيد ، ص ١١١ .

[12] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢/ ٤٧١)

وَذَلِكَ أَنْ نُحَوِّلَ الْحَلَالَ حَرَامًا ، وَالْحَرَامَ حَلَالًا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْحَظْرِ وَالْإِطْلَاقِ وَالْمَنْعِ وَالْإِبَاحَةِ ، فَأَمَّا الْأَخْبَارُ فَلَا يَكُونُ فِيهَا نَاسِخٌ وَلَا مَنْسُوخٌ " .

والمنسوخ فِي كتاب الله I على ثَلَاثَة أضْرب ، فَمِنْهُ مَا نسخ خطه وَحكمه . وَمِنْه مَا نسخ خطه وَبَقِي حكمه وَمِنْه مَا نسخ حكمه وَبَقِي خطه " . و القسم الثالث هو أهم الثلاثة ؛ لأنه الأكثر شيوعًا في القرآن الكريم ؛ لذا اهتم به علماء السلف والخلف في مجال علوم القرآن و علم الفقه و أصوله على السواء .ففي علوم القرآن ، صار علم الناسخ و المنسوخ بابًا قائمًا بذاته ؛ فاعتبره علماء القرآن " عمدة العلوم ؛ لأنه لا يمكن تفسير القرآن إلا بعد معرفة علم الناسخ والمنسوخ الذي يبين مراحل نزول التشريع وتدرجه ..... و حكمته في خطاب المكلفين " [٢] .

وفي هذا أورد القاسم بن سلام ، ما روي من أن عليًّا ψ " مَرَّ بِقَاصٍّ يَقُصُّ، فَقَالَ : هَلْ عَلِمْتَ النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ " .[٣] و في علم أصول الفقه ، صار هذا العلم عمدةً في استنباط الأحكام الشرعية ، و بيان منهج التشريع في إقرارها ؛ فوضعت فيه الكتب التي تبينه بحسب السورة تارة[٤] ، وبحسب أبواب الفقه تارة[٥] ، لاسيما ، و قد ورد في "ثَلَاث وَسِتِّينَ سُورَة " [٦] ، وشمل أبوابًا كثيرة من أبواب الفقه ، كالصلاة والزكاة و الصيام و النكاح و الطلاق و أموال اليتامى و المواريث والحدود .... الخ

و بهذا يظهر معنى جديد للتبيين في الآيات القرآنية ، فكما بينت الآيات في سياقاتٍ سابقة بعض الأحكام الشرعية ، فهي في هذا السياق ، تبين الأوامر و النواهي التي تناسب عصرًا دون آخرأووقتًا دون آخر . وبمعنىً آخر ، يوضح العلماء الناسخ و المنسوخ من الأحكام الشرعية . و بذلك فتحت آيتا البقرة و النحل بابًا كبيرًا من أبواب العلم ، هو " الناسخ والمنسوخ " ؛ لتزيد الدلالة على معنى التبيين و التفصيل والتصريف في آيات الله I ؛ لاسيما ، و " ليس لغير الشارع أن ينسخ حكمًا شرعيًّا ، فإنما يعبد الله بالمحكم من الأحكام ، لا بالمنسوخ ، و له الاختيار المطلق فيما يعبد به " [٧]

رابعاً : الآيات و ظاهرة الحروف المقطعة .

و يطلق عليها الحروف النورانية. و قد وردت الحروف المقطعة في تسعٍ و عشرين سورة من القرآن تسعة منها تلا ذكر الحروف المقطعة فيها ، الإشارة إلى آيات القرآن الكريم . ومعروفٌ أن المفسرين تعددت آراؤهم حول الحروف المقطعة ، حتى بلغت عند القاضي أبي بكر بن العربي ما يزيد

---

[١] فتح القدير للشوكاني ، ج ١ ص١٤٧ .

[٢] المدخل إلى علوم القرآن ، د محمد فاروق النبهان ، ص١٥ .

[٣] الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام ، ص٤ .

[٤] مثل الناسخ و المنسوخ لقتادة ، و الناسخ و المنسوخ للنحاس ، و الناسخ و المنسوخ للمقري .

[٥] مثل الناسخ و المنسوخ للقاسم بن سلام .

[٦] الناسخ والمنسوخ للمقري (ص: ٢٢)

[٧] النسخ في القرآن الكريم ، د مصطفى زيد ، ص١٠٩ .

على العشرين[1] . و قد جمع الزركشي أصل هذه الوجوه بقوله :[2] " اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ أَوَائِلَ السُّوَرِ عَلَى قولين ،

أَحَدِهِمَا: أَنَّ هَذَا عِلْمٌ مَسْتُورٌ وَسِرٌّ مَحْجُوبٌ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ . الْقَوْلُ الثَّانِي : أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهَا مَعْلُومٌ " .

القول السابق يشير إلى تطورٍ في النظرة الإسلامية إلى الحروف المقطعة ، و التدرج في المزاوجة بين الرواية و الدراية ، أو بين المأثور و الاجتهاد . يورد الزركشي قول أبي بكر الصِّدِّيقُ τ : " فِي كُلِّ كِتَابٍ سِرٌّ وَسِرُّهُ فِي الْقُرْآنِ أَوَائِلُ السُّوَرِ " .[3] و أورد السمرقندي عن " عمر وعثمان وابن مسعود– رضي الله عنهم– أنهم

قالوا : الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر" .[4] و ذكر الشوكاني عن أَبِي حَاتِمٍ " لَمْ نَجِدِ الْحُرُوفَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ، وَلَا نَدْرِي مَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " .[5]

أما أصحاب القول الثاني فكثير؛ إذ أَنْكَرَ الْمُتَكَلِّمُونَ " أَنْ يَرِدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا يَفْهَمُهُ الْخَلْقُ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِتَدَبُّرِهِ وَالِاسْتِنْبَاطِ مِنْهُ وَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ إِلَّا مَعَ الْإِحَاطَةِ بِمَعْنَاهُ " .[6] كما نقل الشوكاني الشوكاني عن جَمْعٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَثِير قولهم عنها : " بَلْ نُحِبُّ أَنْ نَلْتَمِسَ الْفَوَائِدَ الَّتِي تَحْتَهَا، وَالْمَعَانِيَ الَّتِي تَتَخَرَّجُ عَلَيْهَا ، وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ عَلَى أَقْوَالٍ عَدِيدَةٍ " .[7]

بمثل هذا انفتح باب الاجتهاد حول الحروف المقطعة ، و من أجمل ما ورد فيها قول ابن العربي : "إِنَّهُ لَوْلَا أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ لَهَا مَدْلُولًا مُتَدَاوَلًا بَيْنَهُمْ لَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ρ بل تلى عَلَيْهِمْ " حم " فُصِّلَتْ وَ " ص " وَغَيْرَهُمَا فَلَمْ يُنْكِرُوا ذَلِكَ بَلْ صَرَّحُوا بِالتَّسْلِيمِ لَهُ فِي الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ ، مَعَ تَشَوُّفِهِمْ إلَى عَثْرَةٍ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَمْرًا مَعْرُوفًا بَيْنَهُمْ لَا إنْكَارَ فِيهِ " .[8]

كان العرب أهل كلام ، يعرفون شعره و نثره ، و هما نوعان أدبيان لهما خصائص تميزهما عن باقي الكلام ؛ لذا عندما جاء القرآن ، رأى العرب هذا النظم الجديد ، فجذبتهم تلك الجدة في نظمه و عبروا عن ذلك بطرقٍ شتى . فالوليد بن المغيرة ذهب لرسول الله يجادله ، فلما عاد للقوم و سألوه ، وصف القرآن أحسن ما يكون الوصف ، فقال :[9] " وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ " . و لهذا عدها البعض من التحدي ، قال قطرب : إنها " إِشَارَةٌ إِلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ لِلْعَرَبِ: إِنَّمَا تَحَدَّيْتُكُمْ

---

[1] الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٠)

[2] البرهان في علوم القرآن (١/ ١٧٢ ، ١٧٣ .

[3] المرجع السابق ، ج١ ص١٧٢ .

[4] تفسير السمرقندي = بحر العلوم (١/ ٢١)

[5] فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٤)

[6] الإتقان في علوم القرآن ، ج٣ ص ٣٠ .

[7] فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٤)

[8] المرجع السابق ، ج٣ ص٣٠ ، ٣١ .

[9] المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٥٥٠) ، و قال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري و لم يخرجاه .

بِنَظْمٍ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الَّتِي عَرَفْتُمْ فَقَوْلُهُ: ألم بِمَنْزِلَةِ : أب ت ث ؛ لِيَدُلَّ بِهَا عَلَى التِّسْعَةِ وَعِشْرِينَ حَرْفًا " . [1]

وَقَالَ قَوْمٌ إنها للتنبيه ، فالمشركون " لَمَّا أَعْرَضُوا عَنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ ، نَزَلَتْ لِيَسْتَغْرِبُوهَا فَيَفْتَحُونَ لَهَا أَسْمَاعَهُمْ فَيَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ بَعْدَهَا ، فَتَجِبُ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ " [2]

جاءت هذه الأقوال و غيرها مسرودةً في تفاسير كتاب الله I ، دون أن يترجح قول منها على آخر حتى قال الشوكاني : إن " مَنْ تَكَلَّمَ فِي بَيَانِ مَعَانِي هَذِهِ الْحُرُوفِ جَازِمًا بِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَدْ غَلِطَ أَقْبَحَ الْغَلَطِ، وَرَكِبَ فِي فَهْمِهِ وَدَعْوَاهُ أَعْظَمَ الشَّطَطِ " . [3]

و اجتهاد العلماء حولها لم يتوقف عند حدود ما سبق ، بل ظهرت اجتهادات حولها في العصر الحديث ،فأشير إلى " أن القرآن الكريم يتميز بخاصية هامة لا نجدها في أي كتاب آخر هذه الخاصية هي وجو الحروف الغامضة أو الحروف النورانية المعروفة باسم فواتح السور " . [4]وقد توسع البعض فيها ، فربطها بالإعجاز العددي في القرآن الكريم ، فدرس الحروف النورانية دراسة مستفيضة في عددها و دلالة هذه الأعداد ، و مؤداها أن الحروف النورانية كالشفرة التي تحفظ القرآن من التحريف ، فمن " الذي يمكن أن تتوفر لديه القدرة على معرفة توزيع الحروف الأبجدية في القرآن الكريم ... الله وحده هو الذي علم ويعلم توزيع الحروف الأبجدية في رسالته وهو I الذي وضع هذه الحروف في أوائل بعض السور كرموز لهذه المعرفة التي لا يستطيعها أي مخلوق... وهو سبحانه الذي حفظ أسرار هذه الحروف لمدة أربعة عشر قرنا كمظهر من مظاهر استمرارية المعجزة القرآنية وخلودها... إذ يشاء الخالق عز وجل أن يكون جيلنا هو الجيل الذي يطلع على أسرار هذه الحروف " .[5]

و الذي لا مراء فيه أن جميعها اجتهاداتٌ مشكورة من علماء الأمة قديمًا و حديثًا ، وهي تضع أيدينا على أمرين : الأول : أن الحروف النورانية فتحت باب الاجتهاد أمام علماء الأمة ؛ إذ لفتت أنظارهم إلى ما في الآيات القرآنية من سبيل للتأمل و التدبر ؛ ليتبين لهم من أسرار القرآن الكريم و أعاجيبه ما يجود به الله عليهم ، وبذا تتحقق الوظيفة الأولى للقرآن الكريم ، و هي التبيين و التفصيل و التصريف .

الثاني : أن الحروف النورانية تشير إلى إعجاز القرآن الكريم ، بمعنى أنه لم يصل أحدٌ إلى ما يدل على صدق قوله فيها من عدمه اللهم إلا القرائن التي يستأنس بها المجتهد و يستنير بها الباحث ، و يستدل بها العلماء على جديد عطاء القرآن مع كل عصر جديد .

---

[1] البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (١/ ٥٩) .

[2] المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

[3] فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٦)

[4] بحوث هيئة كبار العلماء ، المجلد السابع ، سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م ، تمهيد ص١ .

[5] المرجع السابق ، مجلد ٧ ص١١٩ ، ١٢٠ .

المبحث الثاني : الآيات في سياق حديث القرآن عن معجزات الرسل υ

يقول الرسول ρ :[1] " مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ " .

يقول ابن حجر : [2] " هَذَا دَالٌّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُعْجِزَةٍ تَقْتَضِي إِيمَانَ مَنْ شَاهَدَهَا بِصِدْقِهِ وَلَا يَضُرُّهُ مَنْ أَصَرَّ عَلَى الْمُعَانَدَةِ ... وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ آيَةً أَوْ أَكْثَرَ مِنْ شَأْنِ مَنْ يُشَاهِدُهَا مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ لِأَجْلِهَا ... يُؤْمِنُ بِذَلِكَ مَغْلُوبًا عَلَيْهِ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَهُ ... لَكِنْ قَدْ يَجْحَدُ فَيُعَانِدُ"

لخصت هذه العبارة حديث القرآن عن معجزات الرسل υ ، القرآن الكريم وصف معجزات الرسل υ وكرامات بعضهم بالآيات ؛ لما فيها من بيناتٍ و دلائل تدفع إلى الإيمان دفعًا . و إذا كانت المعجزة " أمر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة ، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله " [3] فإن هذا المعنى توفر في آيات الرسل – على اختلافها – و قد عرض القرآن للعديد من معجزات الرسل υ ، التي تنوعت بين ما يطلبه أقوام الرسل ، و ما يطلبه الرسل أنفسهم ، و ما يكرمهم الله به إكرامًا من عنده Y . و فيما يلي

عرض هذه و تلك .

أولاً : الآيات التي طلبها أقوام الرسل – عليهم السلام –

أ- ناقة الله إلى صالح υ .

معجزة صالح υ من أقدم معجزات الرسل المذكورة في القرآن ؛ لسبقه – زمنيًّا – على باقي الأنبياء و الرسل الذين ذكرَ لهم معجزات في القرآن الكريم ؛ و لأن ثمود من المهارة في النحت بما تحدث عنه القرآن الكريم على لسان نبيهم : [4] {وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ} فقد كانت معجزتهم من جنس ما برعوا فيه ، وتتميز معجزة صالحٍ υ ، أنها جاءت إجابةً لطلب ثمود من نبيهم ،عُرِضَ طلبهم هذا في قول الله I : [5] {مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} و قد أجابهم صالحٌ υ إلى طلبهم بناءً على وحي الله I ، وكما ورد في آياتٍ أخرى ، يقول الله I :[6]{وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ} جاء في تفسير ابن عطية : [7] " وروي أنهم اقترحوا تعيين خروج الناقة من تلك الصخرة، فروي أن الجبل تمخض كالحامل وانصدع الحجر وخرجت منه ناقة بفصيلها، وروي أنها خرجت عشراء، ووضعت بعد خروجها ...

---

[1] صحيح البخاري ج٦ ص١٨٢ .

[2] فتح الباري لابن حجر (٩/ ٦)

[3] التعريفات للجرجاني (ص: ٢١٩)

[4] سورة الشعراء ، الآية رقم ١٤٩ .

[5] سورة الشعراء ، الآية رقم ١٥٤ .

[6] سورة هود ، الآية رقم ٦٤ .

[7] المحرر الوجيز لابن عطية ، ج٣ ص١٨٥ .

و الآية هنا بمعنى " حجة وعلامة ، ودلالة على حقيقة ما أدعوكم إليه " . [1]

ب- معجزات موسى υ إلى فرعون و ملئه .

من الأنبياء الذين تعددت آياتهم إلى قومهم ، موسى υ ، فهو من الأنبياء الذين كَثُرَ حديث القرآن عن معجزاتهم ؛ وهذا راجع إلى كثرة الآيات نفسها التي أيده الله بها في مواجهة فرعون مصر ، وإلى طبيعة بني إسرائيل الذين أجهدوا موسى υ في طلب الآيات و الدلائل . و قد ورد النص على هذه الآيات في إحدى وثلاثين آيةً من القرآن ، يقول الحق I في بيانها :[2]{وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِين}تبين الآية الكريمة أمر الله I لموسى υ ، أن " أدخل يدك فى فتحة ثوبك تخرج بيضاء من غير برص، في جملة تسع معجزات، مرسلا إلى فرعون وقومه " [3] و قال الشوكاني في اليد : [4] " كَانَتْ عَلَى مُوسَى مَدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ لَا كُمَّ لَهَا وَلَا إِزَارَ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ وَأَخْرَجَهَا فَإِذَا هِيَ تَبْرُقُ كَالْبَرْقِ" و إذا كان العلماء يذكرون أن بعض الأنبياء كان لهم معجزات وكتاب منهج ، فمثلاً معجزة موسى العصا ومنهجه التوراة، ومعجزة عيسى الطب ومنهجه الإنجيل ، فكأن الآيات الخوارق " المعجزات "

جاءت تصديقًا للرسول فيما يبلغ من آيات الوحي النازل عليه من السماء " المنهج " ، و الآية الكريمة تشير إلى آياتٍ أخرى أوتيها موسى υ . فبَعْدَما أَرَاهُ الله I " آيَةَ انْقِلَابِ الْعَصَا ثُعْبَانًا ، أَرَاهُ آيَةً أُخْرَى لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ بِالتَّأْيِيدِ ، فِي تِسْعِ آياتٍ ، وَالْآيَاتُ هِيَ: الْعَصَا، وَالْيَدُ، وَالطُّوفَانُ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالدَّمُ، وَالْقَحْطُ، وَانْفِلَاقُ الْبَحْرِ وَهُوَ أَعْظَمُهَا " [5] ، يقول الحق I فيها : [6] {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ} و تأتي الآية في سياق حديث القرآن الكريم عن موسىυ و موقف فرعون و ملئه منه و كيف أصروا على العناد ، واعتبروا المعجزات التي أجراها الله على يديه من قبيل السحر . يقول I : [7] {وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِين} و لذا كان أن عدد الله عليهم عجائب قدرته التي بينت كذب ادعائهم ذلك ، و كيف استجاروا بموسى υ من تلك الآيات ، و كذا تبين صدق موسى υ في أن ما يفعله إنما هو بقدرة الله Y . و قد بين العلماء في ذلك أن الآيات – هنا – بمعنى الأدلة ، و بعضهم ذكر أنها بمعنى المصائب .... الخ . يقول السعدي : [8] " آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ ، أي: أدلة وبينات على أنهم كانوا كاذبين ظالمين وعلى أن ما جاء به موسى، حق وصدق " . وفي تفسير المنار " فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْمَصَائِبَ وَالنَّكَبَاتِ ، حَالَ كَوْنِهَا

[1] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٥/ ٣٧١)
[2] سورة النمل ، الآية رقم ١٢ .
[3] المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٥٦٤)
[4] فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٤٧)
[5] التحرير والتنوير (١٩/ ٢٣١ ، ٢٣٢)
[6] سورة الأعراف ، الآية رقم ١٣٣ .
[7] سورة الأعراف ، الآية رقم ١٣٢ .
[8] تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٠١)

آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ عَلَى صِدْقِ رِسَالَةِ مُوسَى ؛ لِتَكُونَ دَلَالَتُهَا عَلَى صِدْقِهِ وَاضِحَةً لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ " .[1] و قد توسع المفسرون في بيان كل آيةٍ منها على حدة ، حتى عرض بعضهم لما جاء عنها في العهد القديم[2] و لكن الكثرة من المفسرين على أن " الله تعالى اختبرهم أولا بالطوفان الذي خرب ديارهم وأفسد وأفسد زرعهم ، ودعا لهم موسى ووعدوه بأن يؤمنوا إذا كشف عنهم الضر، فكشف فلم يؤمنوا فأصيبوا بالجراد فطلبوا أن يدعوا لهم ، فإذا كشف عنهم آمنوا ، فكشف فلم يؤمنوا، ثم اختبرهم بالضفادع كذلك ، وبالدم كذلك ولم يؤمنوا " [3] . و في هذا التتابع و التوالي في إرسال هذه الآيات يكمن سبب تسميتها بالآيات . يقول الطاهر بن عاشور :[4]" وَسَمَّى اللَّهُ هَاتِهِ آيَاتٍ ؛ لِأَنَّهَا دَلَائِلُ عَلَى صِدْقِ مُوسَى لِاقْتِرَانِهَا لِاقْتِرَانِهَا بِالتَّحَدِّي، وَلِأَنَّهَا دَلَائِلُ عَلَى غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ؛ لِتَظَافُرِهَا عَلَيْهِمْ حِينَ صَمَّمُوا الْكُفْرَ وَالْعِنَادَ " . و كما كثرت الآيات التي أيد الله I بها موسى υ في وجه فرعون ، كثرت آياته إلى بني إسرائيل . و قد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله I : [5] {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ } و الحق I يخاطب الرسول ρ " سلْ يا محمد بني إسرائيل – توبيخاً لهم وتقريعاً – كم شاهدوا مع موسى من معجزات باهرات وحجج قاطعات تدل على صدقه ومع ذلك كفروا ولم يؤمنوا " .[6]

كان بنو إسرائيل عالةً على موسى υ في كل شئ ، إذا جاعوا قالوا له أطعمنا ، و إذا عطشوا ، قالوا له اسقنا ، وإذا أمرهم بأمر – كدخول الأرض المقدسة – قالوا له افعله عنا ، حتى عندما قُتِلَ أحدهم ، طلبوا منه أن يعرف لهم القاتل . و قد سجل القرآن هذا في آيات سورة البقرة التي سميت باسم البقرة التي أمرهم موسى υ بذبحها ؛ ليعرفوا القاتل . و قصة البقرة ترتبط بمعجزة إحياء المقتول ؛ ليخبرهم بمن قتله ، يقول I في ختام آيات قصة البقرة : [7]{فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون} و الآية موضع البحث سابعة سبع آياتٍ تتحدث عن تلك القصة التي تبين كغيرها اللجاج و العناد عند بني إسرائيل مع أكرم الخلق رسل الله υ ؛ تصبيرًا للنبي ρ ؛ لما لاقى من اليهود في المدينة بعد الهجرة ، وتتلخص القصة في أن بني إسرائيل وجدوا فيهم قتيلاً ، " فاختلفوا في القاتل ، فسألوا موسى υ فقال لهم : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ... الخ ما قص القرآن علينا " . [8]

توسع بعض المفسرين في سرد أحداث القصة مما لا يعنينا ، و المقصود تعرف موقف بني إسرائيل و أخذ العبرة لئلا نكون مثلهم ، فبنو إسرائيل لم تجدِ معهم حتى الخوارق ، فبعد اتهامهم موسى υ بالسخرية منهم ، تلكئوا في ذبح البقرة بحجة تبين صفاتها و شكلها ، وظلوا في مراجعةٍ مع موسى υ

[1] تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (٩/ ٧٨)
[2] المرجع السابق ، ص٧٩ : ص٨٣ .
[3] زهرة التفاسير ، محمد أبو زهرة (٦/ ٢٩٣٦)
[4] التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور ج٩ ص٧٠ .
[5] سورة البقرة ، الآية رقم ٢١١ .
[6] صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني (١/ ١٢٠)
[7] سورة البقرة ، الآية رقم ٧٣ .
[8] قصص القرآن الكريم ، د فضل عباس ، ص٥٨٢ ، دار النفائس الأردن ، ط٣ ، سنة ٢٠١٠ م .

، حتى قال القرآن عنهم عند ذبحها : [1] { فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُون} و المعنى : " قاربوا ألا يفعلوا ذلك لكثرة أسئلتهم وطول لجاجهم " [2] ، و رأي الجمهور على أن الآيات السبع المشار إليها – آنفًا – تتحدث عن قصةٍ واحدة اختتمت بمعجزة ؛ إذ أمرهم الله I على لسان موسى υ: [3] {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا}أي " اضربوا القتيل بجزء من هذه البقرة ، فأحيا الله القتيل وذكر اسم قاتله ، ثم سقط ميتاً ، وكانت معجزة من الله ؛ لأن الله قادر على كل شئ، وبقدرته هذه يحيى الموتى يوم القيامة ويريكم دلائل قدرته لعلكم تعقلونها وتعتبرون بها " . [4]

ت–معجزات عيسى υ إلى قومه .

يقول الله I على لسان عيسى υ : [5] {وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ ...}جاءت الآيتان في سياق الحديث عن قصة مريم البتول و ميلاد ابنها المعجز ؛ بشارةٌ لها بنبوة ابنها عندما تعجبت مما يحصل لها من الإنجاب مع الإحصان و التعفف عن الحلال و الحرام ، و توطئة لبقية معجزات عيسى υ . والآيتان تعرضان لمعجزاتٍ أجراها الله على يدي عيسى υ ، و يظهر أنها ظهرت بطلب القوم عندما دعاهم إلى الإيمان بنبوته . يقول القرطبي : [6] " يُقَالُ: إِنَّ سُؤَالَهُمْ كَانَ لَهُ عَلَى وَجْهِ التَّعَنُّتِ فَقَالُوا: اخْلُقْ لَنَا خُفَّاشًا خُفَّاشًا وَاجْعَلْ فِيهِ رُوحًا إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي مَقَالَتِكَ، فَأَخَذَ طِينًا وَجَعَلَ مِنْهُ خُفَّاشًا ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ فَإِذَا هُوَ يَطِيرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكَانَ تَسْوِيَةُ الطِّينِ وَالنَّفْخُ مِنْ عِيسَى وَالْخَلْقُ مِنَ اللَّهِ" ، " وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَى زَمَنِ عِيسَى υ الطِّبَّ فَأَرَاهُمُ الله المعجزة من جنس ذلك " [7] ؛ إذ داوى أمراضًا مستعصية على أطباء عصره كالكمه و البرص ، فالأكمه الذي يولد أعمى ، و البرص المرض الجلدي المعروف ، و فاقهم عيسى υ في أنه يحيي الموتى فقد أحيا أربعة ، هم " الْعَازِرُ وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ ، وَابْنُ الْعَجُوزِ وَابْنَةُ الْعَاشِرِ وَسَامُ بْنُ نُوحٍ ؛ إذ قَالُوا: إِنَّكَ تُحْيِي مَنْ كَانَ مَوْتُهُ قريبا ، فلعلهم لم يموتوا فأصابتهم سكتة ، فأحي لَنَا سَامَ بْنَ نُوحٍ ... فَخَرَجَ وَخَرَجَ الْقَوْمُ مَعَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَبْرِهِ فَدَعَا اللَّهَ فَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ .... فَقَالَ لِلْقَوْمِ: صَدِّقُوهُ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ ، فَآمَنَ بِهِ بَعْضُهُمْ وَكَذَّبَهُ بَعْضُهُمْ وَقَالُوا: هَذَا سِحْرٌ" . [8]

و ممن طلب الآيات من عيسى υ الحواريون ، طلبوا إنزال مائدة عليهم من السماء يقول I : [9] {إِذْ قَالَ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء} يذكر المفسرون

[1] سورة البقرة ، الآية رقم ٧١ .
[2] المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، ص١٧ .
[3] سورة البقرة ، الآية رقم ٧٣ .
[4] المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، ص١٧ .
[5] سورة آل عمران ، الآيتان رقم ٤٩ ، ٥٠ .
[6] تفسير القرطبي (٤/ ٩٤)
[7] تفسير القرطبي (٤/ ٩٤)
[8] تفسير القرطبي (٤/ ٩٤ ، ٩٥)
[9] سورة المائدة ، الآية رقم ١١٢ .

أن الحواريين " كانوا خيرة من آمن بعيسى υ "[1] و في حوارٍ دار بين عيسى υ والحواريين طلبوها دليلاً حسيًّا لهم ، و قد بين القرآن علة طلبهم بقولهم : [2] {قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِين}

الآية تبين أنهم أرادوا الأكل من المائدة تبركًا ، و تطمينًا لقلوبهم ، كما في قول إبراهيم υ:[3] { وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي }، برؤية ما علمه عيانًا ، أي " نعلم صدقك عياناً كما علمناه استدلالاً " [4] ؛ لأن " الدَّلِيلَ الدَّلِيلَ الْحِسِّيَّ أَظْهَرُ فِي النَّفْسِ " . [5] فسؤالهم لم يكن عن شكٍّ أو كفر أو تعنت كالسابقين ، بل لتحقيق زيادة العلم . و تؤكد ذلك قراءة "تستطيع " التي رويت عن السيدة عائشة τ ، قالت : " إِنَّمَا قَالُوا : هَل تَسْتَطِيع أَنْت رَبك ، هَل تَسْتَطِيع أَن تَدعُوهُ " .[6] و أخرج الطبراني عن معاذ " أَنَّ النَّبِيَّ ρ قَرَأَهَا : هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ " .[7] ولذا ختمت بقولهم : (و نكون عليها من الشاهدين) وقولهم يحتمل وجهين : الأول : " من الشاهدين لك عند الله بأنك قد أديت ما بعثك به إلينا. والثاني : من الشاهدين عند من يأتي من قومنا بما شاهدناه من الآيات الدالة على أنك نبي إليهم وإلينا "[8]

و قد اختلف المفسرون في هذه المعجزةِ الحسية – المائدة – هل نزلت أم لا ، و الجمهور على أنها " نَزَلَتْ ، وَهُوَ الظَّاهِرُ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: (إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ) وَعْدٌ لَا يُخْلَفُ، وَلَيْسَ مَشْرُوطًا بِشَرْطٍ وَلَكِنَّهُ مُعَقَّبٌ بِتَحْذِيرٍ "[9] بعذابٍ لم يعذبه أحدٌ من العالمين ، و هو ما نال من كفر من أصحاب المائدة بعد ذلك ؛ فقد روي عن عبد الله بن عمر τ : [10] " إِنَّ أَشَدَّ الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون " .

ث–<u>معجزات خاتم المرسلين محمد ρ .</u>

القرآن الكريم هو معجزة الرسول ρ الكبرى ، و قد قارن العلماء قديمًا و حديثًا بين معجزات الرسل υ ، فرأى السيوطي أن " أَكْثَرُ مُعْجِزَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ حِسِّيَّةً ؛ لِبَلَادَتِهِمْ وَقِلَّةِ بَصِيرَتِهِمْ ، وَأَكْثَرُ مُعْجِزَاتِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَقْلِيَّةٌ ؛ لِفَرْطِ ذَكَائِهِمْ وَكَمَالِ أَفْهَامِهِمْ ؛ وَلِأَنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ لَمَّا كَانَتْ بَاقِيَةً عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ خُصَّتْ بِالْمُعْجِزَةِ الْعَقْلِيَّةِ الْبَاقِيَةِ لِيَرَاهَا ذَوُو البصائر ... فَمُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ انْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِ أَعْصَارِهِمْ ، وَمُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... فَلَا يَمُرُّ عَصْرٌ مِنَ الْأَعْصَارِ إِلَّا وَيَظْهَرُ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ

---

[1] تفسير القرطبي ، ج٦ ص٣٦٥ .
[2] سورة المائدة ، الآية رقم ١١٣ .
[3] سورة البقرة ، الآية رقم ٢٦٠ .
[4] تفسير النسفي ، ج ١ص٤٨٥ .
[5] التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور (٧/ ١٠٧)
[6] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ٢٣١) ، و رواه الترمذي
[7] المعجم الكبير للطبراني ، ج٢٠ ص٦٩ .
[8] تفسير الماوردي = النكت والعيون (٢/ ٨٤)
[9] التحرير والتنوير (٧/ ١١١)
[10] زهرة التفاسير (٥/ ٢٤٠٤)

أَنَّهُ سَيَكُونُ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ دَعْوَاهُ " [1] .

وهذا لا يعني أن الرسول ρ لم تكن له معجزات حسية ، فقد حفظت لنا السنة الصحيحة بعضها ، كما أشار القرآن إلى بعضها ، لاسيما بعد أن ورد فيه طلب آية أو آياتٍ من الرسول ρ فيما يزيد عن تسعة مواضع من القرآن ، منها قول الحق I : [2]{وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلِ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون}فالكفار طلبوا "مُعْجِزَاتٍ قاهرة من جِنْسِ مُعْجِزَاتِ سَائِرِ الأنبياء مثل فلق البحر و إظْلال الجَبَل وإحْيَاء الموتى ... و إنْزَالِ الملائكة، وإسْقاطِ السماء كِسَفاً ... على سبيل التَّعَنُّتِ واللِّجَاجِ ، مما حَكَاهُ الله عن بعضهم في قوله I : [3]{وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيم} " [4] و يستفاد منه أن كفار مكة كغيرهم من الأقوام تعنتوا في طلب الخوارق دليلاً على أنه رسولٌ من عند الله I . و قد سجلت كتب السنة بعض معجزاته ρ ، كنبع الماء من يديه الشريفتين ρ و تكثير الطعام ، كما سجل القرآن بعضها ، يقول الله I :[5]{وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِر} والآية المقصودة ، معجزة انشقاق القمر الواردة في قوله I :[6]{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَر}

أثبتت كتب السنة ذلك ، فأشار إليها الإمام البخاري في أبوابٍ من جامعه منها " بَابُ سُؤَالِ المُشْرِكِينَ أَنْ يُرِيَهُمُ النَّبِيُّ ρ آيَةً، فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ القَمَرِ " ، يقول ابن مسعودٍ τ : [7] " انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ρ شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ρ : اشْهَدُوا " و أشار إليها المفسرون ، فالبغوي يذكر ما رواه قتادة عن أنس بن مالك τ " أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ρ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شَقَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا " .[8] و في روايةٍ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّه : " انْشَقَّ الْقَمَرُ .... فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: سَحَرَكُمُ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ، فَاسْأَلُوا السُّفَّارَ، فَسَأَلُوهُمْ، فَقَالُوا: نَعَمْ قَدْ رَأَيْنَاهُ " [9] . و عليه المراد بالآية معجزة انشقاق القمر ، و معنى الآية موضع البحث " وإن ير الكفار معجزة عظيمة – انشقاق القمر – يُعرضوا عن الإيمان بها ، ويقولون: هى سحر دائم متتابع " [10] ؛ فقد قابل أهل مكة " الآية بالعناد ، وادّعوا أن محمدًا ρ سحر أهل مكة ؛ حتى يشاهدوا القمر منشقّا ، ثم اتّفقوا على أن يسألوا عن الحادث المسافرين القادمين إلى مكّة، وقد شهد المسافرون بأنهم شاهدوا القمر نصفين في ذلك اليوم ، فادّعى أهل مكة أن محمّدا ρ سحر الناس جميعا " . [11] و قد أجمع المسلمون على حدوث معجزة

[1] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ج٤ ص٣ .
[2] سورة الأنعام ، الآية رقم ٣٧ .
[3] سورة الأنفال ، الآية رقم ٣٢ .
[4] اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ، ج8 ص١٢١ ، بتصرفٍ بسيط .
[5] سورة القمر ، الآية رقم ٢ .
[6] سورة القمر ، الآية رقم ١ .
[7] صحيح البخاري ج٤ ص٢٠٦ .
[8] تفسير البغوي ج٤ ص٣٢١ .
[9] معالم التنزيل للبغوي ، ج٤ ص٣٢١ .
[10] المنخب في تفسير القرآن الكريم ، ص٧٨٦ .
[11] الموسوعة القرآنية خصائص السور (٩/ ٦٧ ، ٦٨)

انشقاق القمر لرسول الله ρ ، لم يشذ منهم إلا القليل ، متأولين انشقاق القمر على المستقبل . في الموسوعة القرآنية يرى بعض المفسرين "أنّ الآية تخبر عن الأحداث الكونية المقبلة ، فعند قيام الساعة ستنشق الأرض والسماوات، كما ينشق القمر وينفصل بعضه عن بعض وتتناثر النجوم ، وتبدّل الأرض غير الأرض والسماوات " [1] و قد ضعّف ابن عادل هذا الرأي ، يقول: [2] " قيل : انشق بمعنى سينشق يوم القيامة، فأوقع الماضي موقع المستقبل لتحققه وهو خلاف الإجماع... وإنما ذكرنا ذلك تنبيهاً على ضعفه " . و في العصر الحديث جاء العلم يؤكد تلك الحادثة و ذكر ذلك في أكثر من مصدر ، و على لسان أكثر من عالم . [3]

في موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة الإلكترونية ، ترجم مقالٌ ما وصفه باكتشافاتٍ علمية أعلنت عنها وكالة ناسا ، يقول : [4] " ظهر – أي على سطح القمر – أن هناك شبكةً عنكبوتية من الصدوع ، وأنه في فترةٍ لاحقة أغرقت الحمم مناطق منخفضة في الجزء الخارجي للسطح ، و غطت الشقوق – الصدوع – " .

و قد دعمت الموسوعات و المواقع الالكترونية كلامها في هذا الصدد بالصور التي تؤكد هذا الأمر . [5]

[5]

و هذا يعني أن العلماء في الغرب يأتون في بحوثهم العلمية باحتمالاتٍ و فرضيات تصب في تصديق كتاب الله Y ، حتى إذا أراد الله I أن يجلي لهم الحق جلاه ، و خلاصة القول : إن انشقاق القمر كغيره من معجزات الرسل ، لا يمكن تفسيره – و لو مؤقتًا – في ضوء العلوم ؛ لأنه من الخوارق المتحدى بها و إذا كان علماء المسلمين يشيرون للدلالة العلمية فيه ؛ فليس لنؤمن بها – فنحن نؤمن بها معجزة من معجزات الله I لنبيه ρ –بل لتكون إحدى الوسائل الحديثة في الدعوة إلى الإسلام وإثبات أنه الدين الحق ، وكتابه هو كلام الله الخالق I .

<u>ثانيًا : معجزات الرسل التي أكرمهم الله بها بناءً على طلبهم أو بدونه .</u>

أ- <u>معجزة آدم υ .</u>

في سياق قصة آدم υ و نزوله من الجنة ، يقول الله I : [6]{يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُون} يقول الزمخشري : [7] " و هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها، إظهاراً للمنة

---

[1] الموسوعة القرآنية ، خصائص السور ، ج٩ ص٦٨ .

[2] اللباب في علوم الكتاب ج١٨ ص٢٢٩ ، ٢٣٠ .

[3] مثل موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة للدكتور النابلسي ، و آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار ، و موسوعة الكحيل .... الخ .

[4] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة ، مقال : الأدلة العلمية و الشرعية على انشقاق القمر ، د بسام محمود الأمير تاريخ النشر : ١٤ / ٦ / ٢٠١٠

[5] **كما نجد في موسوعة الكحيل الإلكترونية للإعجاز العلمي .**

[6] سورة الأعراف ، الآية رقم ٢٦ .

[7] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، للزمخشري (٢/ ٩٧)

فيما خلق من اللباس ، ولما في العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، وإشعاراً بأنّ التستر باب عظيم من أبواب التقوى " الآية تعرض لجزءٍ من تاريخ البشرية حدث مع أبيها الأول (آدم υ) ، و جعلت اللباس سنةٌ في بني آدم ونعمةٌ بدأت مع أول البشر ؛ فهي تميزهم دون سائر المخلوقات على سطح الأرض ؛ و لذا جعلها القرآن الكريم آيةً من آيات الله I . يقول ابن عاشور : [1] " وَهَذَا تَنْبِيهٌ إِلَى أَنَّ اللِّبَاسَ مِنْ أَصْلِ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْفِطْرَةُ أَوَّلُ أُصُولِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنَّهُ مِمَّا كَرَّمَ اللَّهُ بِهِ النَّوْعَ مُنْذُ ظُهُورِهِ فِي الْأَرْضِ "

ب-معجزة إبراهيم υ .

إبراهيم υ من الأنبياء الذين حباهم الله بآياتٍ عدة ، في سورة آل عمران : [2] {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ}الآية في سياق الحديث عن بيت الله الحرام و مزاياه ، ومنها مقام إبراهيم υ الذي أخبر الله عنه بأنه من الآيات البينات . و في السنة ما يؤكد هذا ، يقول الرسول ρ : [3] " الرُّكْنُ وَالْمَقَامُ يَاقُوتَتَانِ يَاقُوتَتَانِ مِنْ يَاقُوتِ الْجَنَّةِ طَمَسَ اللَّهُ نُورَهُمَا ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَضَاءَتَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ " . و قد حسَّن الألباني هذا الحديث ، بقوله :[4] " إسناده حسن لغيره ، فإن أيوب بن سويد سيء الحفظ وقد تابعه شبيب بن سعيد الحبطي عند البيهقي وهو ثقة " . وكون المقام ياقوتةٌ من الجنة نزلت لإبراهيم υ يبرز معنى الآية فيه ، و في التفسير ما يؤكد كونه إحدى آيات الحرم المكي ، " فالمقام وأمن الداخل جعلا مثالا مما في حرم الله من الآيات، وخصا بالذكر لعظمهما ، وذلك أنه قام عليه إبراهيم υ وقت رفعه القواعد من البيت ، فكلما علا الجدار، ارتفع الحجر به في الهواء ، ثم إن الله I لما أراد إبقاء ذلك آية للعالمين لين الحجر ، فغرقت فيه قدما إبراهيم υ كأنها في طين ، فذلك الأثر العظيم باق في الحجر إلى اليوم " . [5]

ت-معجزة يوسف υ .

و نعتبرها كرامةً ليوسف υ ؛ إذ لم تكن في طريق دعوة أحد الأقوام إلى الله I ، بل كانت تحمل براءته مما رمته به امرأة عزيز مصر التي استبد بها حبها له ، فهيأت نفسها وانتهزت خلوة في البيت جمعت بينها وبينه فغلقت الأبواب عليهما وراودته عن نفسه ، فاستعصم يوسف υ ، ثم يقوم بالشهادة أحد أهل امرأة العزيز ؛ حتى لا يظن أن أحداً جامل يوسف في نفي التهمة عنه وجاء قوله فصل في الدليل { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِين . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِين . فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيم}

[1] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٨-ب/ ٧٤)

[2] سورة آل عمران ، الآية رقم ٩٧ .

[3] صحيح ابن خزيمة (٤/ ٢١٩)

[4] المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

[5] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٤٧٥)

[1] و نص الشهادة يشير إلى الاستناد للقرائن و الأدلة المتوفرة في مكان الحادث ، و في ذلك " إظهار لنوع الاستدلال ؛ ليعلم أنه استدلالٌ منطقي و عقلي مقبول " [2]

فكانت النتيجة أن كذبت وهو عليه السلام من الصادقين ؛ لأن الإنسان إذا كان مطلوباً أو هارباً يؤتى من ورائه ، و هذا من قبيل الأخذ بالأمارة عند الحكم ، فقد كانت آيات أو علامات كذب امرأة العزيز "كثيرة بالغة مبلغ اليقين فضموا إليها هذه العلامة ؛ لأجل أن يكون ذلك جارياً مجرى المقويات والمرجحات " . [3]

وتبرز الآية أو المعجزة في قول من قال : إن شاهد يوسف υ كان صغيرًا ، تكلم في المهد ؛ تبرئةً ليوسف υ . في حديث ابن عباس τ : " تَكَلَّمَ أَرْبَعَةُ صِغَارٍ : عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلام وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْن " . [4]

فبذلك يصبح آيةً و معجزة بينة على براءة يوسف υ . و إذا اكتفينا بالقميص وحده ، نجد أن قَدَّ القميص كان من البراهين القاطعة بالبراءة ، و قد كرم الله I به يوسف υ لإخلاصه وطهارته وعفته عما دعته إليه. و لكن العزيز على الرغم مما رآه من الآيات ، قرر سجن يوسف υ ؛ لأسبابٍ على رأسها ، الخلاص من كلام النسوة في المدينة . يقول I : [5] {ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِين}

و رؤية الآيات من رؤية العلم و الإدراك التي ترتبت على رؤية البصر ، و تعني " من بعد ما ظهر لهم من وجوه الأمر وقرائنه أن يوسف برئ " [6] و أن المرأة مدانة ، قرروا سجنه . و قد ظهر في كلام العزيز ما يدل على ذلك ؛ فقد نسب إليها الكيد ، و أمرها بالاستغفار من الذنب ، و أكد أنها كانت من الخاطئين ، و لم يوجه إلى يوسف υ إلا أمرًا بالإعراض عما حدث أو نسيانه و عدم الخوض فيه ؛ لأن شواهد براءة يوسف كانت مما يرى بالعين ويترتب عليه علم بالعقل ينص على براءته υ ، بقدر ما ينص على إدانة المرأة .

ث-معجزة زكريا υ .

إذا كانت الآيات تأتي من عند الله I بناءً على طلب قوم الرسول- أحيانًا – فقد تأتي بناءً على طلب الرسول نفسه – أحيانًا – حدث ذلك مع زكريا υ ، عندما سأل الله I الذرية الطيبة على الرغم من عقم زوجته وبلوغه المشيب . والملاحظ اقتران قصة زكريا υ و مريم البتول ، أو قصة يحيى وعيسى υ

[1] سورة يوسف ، الآيات من ٢٦ : ٢٨ .

[2] جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف ، د عويض بن حمود العطوي ، ص٥٢ .

[3] تفسير الرازي ج١٨ ص١٠٠ .

[4] أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٣٠٩/١) ، والطبراني (١٢٢٨٠) ، وابن حبان (٢٩٠٣) ، والحاكم ، و البيهقي و قال : لا بأس به ، و لكن ضعفه البعض ، كما نجد في موقع الإسلام سؤال و جواب .

[5] سورة يوسف ، الآية رقم ٣٥ .

[6] المحرر الوجيز لابن عطية ج٣ ص٢٤٣ .

فالقرآن يعرض لميلاد عيسى υ ، و يكشف " عن الإعجاز الإلهي في تكوين هذا النبي الكريم ، لكن هذا الإعجاز بين يدي قصة زكريا وابنه يحيى ؛ لأن ولادة يحيى كانت هي الأخرى معجزة " . [١]

فقد كفل زكريا υ مريم البتول ، و كان كبير السن قد وهن عظمه ، و له امرأةٌ عاقر لم ترزق بولدٍ و عندما لاحظ زكريا البركات المنزلة على مريم البتول ، و سألها عن الفاكهة التي ليس الوقت أوان وجودها ، أجابته بأنها من عند الله ، فكانت إجابتها محركةً لدواعي الرجاء في قلبه . يقول القرآن الكريم في ذلك : [٢]

{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء . فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ } و إذا كان ميلاد يحيى υ معجزةً – في ذاته – فإن زكريا υ طلب آيةً تدل على تحقق تلك المعجزة ؛ لتعجبه من بشارة الملائكة ، يقول I في سورة مريم : [٣]{قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا} و معنى الآية أن الزوجة " كانت على صفة العقر حين أنا شاب وكهل ، فما رزقت الولد لاختلال أحد السببين ، أفحين اختل السببان جميعا أرزقه ؟ ! " [٤] فإجابة الدعاء استدعت تعجبه ، حتى مع كونه هو الطالب . وهذا يدل على شدة الفرحة بهذه الإجابة مع انقطاع الأسباب ؛ لذا طلب الآية ، قال تعالى : [٥]{قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا} ذكر المفسرون أن "نفسه تاقت إلى سرعة الأمر فسأل الله آيةً يستدل بها على قرب ما من به عليه، وقد أجيب ليعلم وقت العلوق " . [٦] و المفسرون على أن الآية هي العلامة على معجزة ميلاد يحيى υ ، فهو يريد أن "يطمئن بها قلبه ، وليس هذا شكا في خبر الله، فطلب زيادة العلم، والوصول إلى عين اليقين بعد علم اليقين "[٧] ، فالآية هنا " العلامة التي يعرف بها أن امرأته حملت ، فإن الولد قرة عينه .... وقد ذكر الأيام في سورة آل عمران، والليالي في سورة مريم؛ للدلالة على أن العلامة هي ألا يكلم الناس ثلاثة أيام بلياليها " [٨]

و المراد" أَنْ لَا تَقْدِرَ عَلَى الْكَلَامِ ؛ وَلَيْسَ الْمُرَادُ نَهْيَهُ عَنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِذْ لَا مُنَاسَبَةَ فِي ذَلِكَ لِلْكَوْنِ آيَةً " [٩] كما أنه ليس منه المرض ، و إلا ما كان آيةً ، بل هو " من الآيات العجيبة ، فإن منعه من الكلام مدة ثلاثة أيام، وعجزه عنه من غير خرس ولا آفة ، بل كان سويا ، لا نقص فيه من الأدلة على قدرة

[١] نحو تفسيرٍ موضوعي لسور القرآن الكريم ، الشيخ محمد الغزالي ، ص٢٤٤ .
[٢] سورة آل عمران ، الآيتان رقم ٣٨ ، ٣٩ .
[٣] سورة مريم ، الآية رقم ٨ .
[٤] تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٦)
[٥] سورة مريم ، الآية رقم ١٠ .
[٦] التفسير الواضح ، محمد محمود الحجازي (٢/ ٤٤٦)
[٧] تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٩٠)
[٨] زهرة التفاسير ، محمد أبو زهرة (٩/ ٤٦١٥)
[٩] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٦/ ٧٣)

الله الخارقة للعوائد، ومع هذا، ممنوع من الكلام الذي يتعلق بالآدميين وخطابهم ، وأما التسبيح والتهليل، والذكر ونحوه ، فغير ممنوع منه " . [1]

ج- معجزة ميلاد عيسى υ .

تعددت المعجزات التي أشار القرآن إليها في قصة عيسى υ ، و قد أشرنا إلى بعضها سابقًا ، ونشير هنا إلى ميلاده الذي كان آية . يقول الله I : [2] {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِين} و كذا قوله I : [3] {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِين} وَمَعِين} ذكر لفظ الآية في فاصلة الآية الأولى ، و بدأ بذكر مريم البتول؛ لأن الآية الكريمة بدأت بالحديث عنها ، و كيف كانت متعففةً ومحصنةً لفرجها ، بينما ذكر في فاتحة الآية الثانية ، فذكر عيسى υ و تلته أمه البتول ، و قد ركز المفسرون على الآية في كلٍّ منهما ، فذكروا ثلاثة أقوال :

الأول : يرى أن الآية فيهما واحدة ، و المعنى " و جعلنا مريم وابنها عبرة لعالمي زمانهما ، وقيل آية ولم يقل آيتين وقد ذكر آيتين[4] ؛ لأن المعنى : جعلناهما عَلَما لنا وحجة ، فكل واحدة منهما في معنى معنى الدلالة على عظيم قدرته يقوم مقام الآخر ؛ إذ كان أمرهما في الدلالة على الله واحدا " [5] الثاني : : أنهما آيتان ، فقد " قرأ ابن مسعود وابن أبي عبلة " آيتين "على التثنية " [6] .

الثالث : رأى في الآية آياتٍ متعددة ، " أَمَّا مَرْيَمُ فَآيَاتُهَا كَثِيرَةٌ: أَحَدُهَا : ظُهُورُ الْحَبَلِ فِيهَا لَا مِنْ ذَكَرٍ فَصَارَ ذَلِكَ آيَةً وَمُعْجِزَةً خَارِجَةً عَنِ الْعَادَةِ . وَثَانِيهَا: أَنَّ رِزْقَهَا كَانَ يَأْتِيهَا بِهِ الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْجَنَّةِ . وَأَمَّا آيَاتُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهَا ، فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ جَعَلَهُمَا آيَةً لِلنَّاسِ يَتَدَبَّرُونَ فِيمَا خُصَّا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَيَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ سُبْحَانَهُ " . [7]

ح- معجزة محمد ρ .

أكرم الحق I محمدًا ρ ببعض المعجزات الحسية ، مثل قتال الملائكة مع المسلمين في بدرٍ ، ونبع الماء من بين أصابعه . و من أعظم ما أكرمه به، معجزة الإسراء و المعراج التي كانت قبيل الهجرة ، حين ازداد اضطهاد الكفار له ρ و للمسلمين . و الإسراء و المعراج معجزتان حسيتان كالمعجزات التي أيد الله بها الرسل السابقين ، كالعصا واليد لموسى υ ، وإحضار العرش لسليمان υ . ولكنها تختلف عنهم في الآن نفسه . معجزات موسى υ رآها فرعون وقومه . وآية عرش بلقيس رآها من حضر من الملأ عند سليمان υ. أما الإسراء والمعراج فلم يرهما إلا النبي ρ . أما أمته فآمنت بهما بالغيب ؛ لإخبار النبي الصادق بهما فنحن نوقن بهما يقين خبر . وفي ذلك يقول بعض العارفين : " رأيت الجنة

---

[1] تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٩٠)

[2] سورة الأنبياء ، الآية رقم ٩١.

[3] سورة المؤمنون ، الآية رقم ٥٠ .

[4] أي في مواضع أخرى في القرآن الكريم ، كما في سورة الإسراء ، الآية رقم ١٢

[5] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٥٢٢ ، ٥٢٣)

[6] زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي (٣/ ٢١١)

[7] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢/ ١٨٣)

والنار حقيقة . قيل له : وكيف ؟ قال : رأيتهما بعيني رسول الله ρ ورؤيتي لهما بعينيه آثر عندي من رؤيتي لهما بعيني فإن بصري قد يطغى ويزيغ بخلاف بصره ρ ".[1] أشار القرآن الكريم إلى هاتين المعجزتين في سورتي الإسراء والنجم ، ونتبين منهما أن المعجزة تتضمن رحلتين ، إحداهما أرضية (الإسراء) ، و الأخرى سماوية (المعراج) ، فالأولى ذكرت في فاتحة سورة الإسراء التي سميت باسمها ؛ تخليدًا لهذه الرحلة العجيبة ، والثانية ذكرت في سورة النجم . يقول الحق I : [2] {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا}

كانت رحلة الإسراء آيةً من آيات الله I في علتها ووقتها و أحداثها ؛ إذ فقد رسول الله ρ عمه أبو طالب و زوجته السيدة خديجة τ في عامٍ واحد ، وكانا من أسباب حمايته " و ما كان منه ρ في هذا الجو الخانق إلا أن يلتمس منطلقًا للدعوة ؛ لعله يجد نصيرًا خارجيًّا ، فقام برحلته إلى الطائف " . [3]

تروي كتب السيرة و الشمائل ، أن الرسول ρ مكث بالطائف عشرة أيام ، و هم بين مكذبٍ ومستهزئٍ ومجافٍ له ، حتى يئس من خير ثقيف ، فأغروا به " سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد ρ إلى ظل حبلة من عنب فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف " [4] ، فلما اطمأن وقف موقف الضارع إلى الله I بعد أن فقد أسباب البشر ، وقال دعاءه المشهور (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ..... الخ)

لم يدع ρ على القوم ، بل ثبت في الصحيحين قوله ρ عن رحلته الحزينة للطائف : [5] " فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، ... فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ρ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " .

و قد أراد الحق I ، أن يعوض رسوله ρ بجفاء أهل الأرض حفاوة أهل السماء ، فأراه من الآيات والعجائب ما زوده قوةً وطاقة ؛ ليستمر في طريق النبوة و الدعوة . و قد بدأ الأمر برحلةٍ أرضية إلى بيت المقدس . في حديث أنس بن مالك τ أن رسول الله ρ قال : [6] " أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِه ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ ، قَالَ : ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ.... " . و هذا يرد على ما ذكر بعض المفسرين من قول حذيفة بن اليمان τ عن رسول الله ρ أنه " لم يدخل

[1] تهذيب مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية ، ص٤٥٨ .

[2] سورة الإسراء ، الآية رقم ١ .

[3] الإسراء و المعراج للشيخ الشعراوي ، ص ١٣ ، ١٤ .

[4] دلائل النبوة للبيهقي ، ص٦٧ .

[5] صحيح البخاري (٤/ ١١٥)

[6] صحيح مسلم (١/ ١٤٥)

بيت المقدس ولم يصلِّ فيه ، ولا نزل عن البراق حتى عرج به " [1] ، و يؤكده حديث أبي هريرة τ : " لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، قَالَ : فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ ... " [2]

ولهذا افتتح الحق I الآية موضع البحث بـ " سبحان " فلو لم تحدث تلك الرحلة حقًّا ، أو كانت رؤيا أو كانت بالروح كما ذكر البعض [3] ، لما افتتحت بهذا التسبيح و التنزيه . يقول الطاهر بن عاشور : [4] "الِافْتِتَاحُ بِكَلِمَةِ التَّسْبِيحِ يُؤْذِنُ بِأَنَّ خَبَرًا عَجِيبًا يَسْتَقْبِلُهُ السَّامِعُونَ دَالًّا عَلَى عَظِيمِ الْقُدْرَةِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ وَرَفِيعِ مَنْزِلَةِ الْمُتَحَدَّثِ عَنْهُ .... وَهُوَ ذَلِكَ الْحَادِثُ الْعَظِيمُ وَالْعِنَايَةُ الْكُبْرَى. وَيُفِيدُ أَنَّ حَدِيثَ الْإِسْرَاءِ أَمْرٌ فَشَا بَيْنَ الْقَوْمِ ، فَقَدْ آمَنَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ وَ أَكْبَرَهُ الْمُشْرِكُونَ ... وَفِي ذَلِكَ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ إِسْرَاءٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ لِقَطْعِ الْمَسَافَةِ الَّتِي بَيْنَ مَبْدَأِ السَّيْرِ وَنِهَايَتِهِ فِي بَعْضِ لَيْلَةٍ " و هي مسافةٌ طويلة كانت تقطع بين المسجدين في شهرين مجيئًا و ذهابًا في عصرها .

و معجزة الإسراء ، كانت مفتتحًا لعجائب رآها رسول الله ρ في تلك الليلة ، و أعجبها معراج النبي ρ من بيت المقدس إلى الملأ الأعلى . فالإسراء و المعراج كانتا في ليلةٍ واحدة ، كما يُفهَم من حديث رسول الله ρ ، و متفقٌ عليه بين الأمة . وقد جاء الحديث عن المعراج في سورة النجم . يقول الحق I [5] :

{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ... مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}

عند تتبع تفسير الآيات الكريمة ، نستنبط أن مجموعها يشير إلى معجزة المعراج ، حتى ذكر بعضهم أنه ρ هو المقصود بـ " النجم إذا هوى" يقول أبو حيان : [6] " وَالنَّجْمُ ... قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَوِيُّهُ: نُزُولُهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ " . و الآيات الكريمة تختتم بالآية موضع بحثنا : {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} التي تؤكد أن النبي ρ رأى من عجائب خلق الله و معجزاته ، ما ذكر بعضه في فواتح سورة النجم ، و ذكر بعضه في حديث رسول الله ρ . و قد كان للمفسرين في المراد بما رأى من الآيات ، ثلاثة أقوال :[7] "أحدهما: أنه رأى رفرفاً أخضر من الجنة قد سَدَّ الأفق . والثاني:

---

[1] زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ، ج٣ ص٨ .

[2] صحيح مسلم ج١ ص١٥٦ .

[3] النكت و العيون للماوردي ج٣ ص٢٢٥ .

[4] التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور ج١٥ ص٩ ، ١٠ ، ١١ .

[5] سورة النجم الآيات من ١ : ١٨ .

[6] البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، ج١٠ ص٩ .

[7] زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ، ج٤ ص١٨٧ .

أنه رأى جبريل في صورته التي يكون عليها في السماوات . والثالث : أنه رأى من أعلام ربِّه وأدلَّته الأعلامَ والأدلةَ الكبرى " .

و القول الثالث أصدقها تعبيرًا عما رآه الرسول ρ في تلك الليلة المباركة ؛ لأنه أعمها ، فيشمل القولين الأول و الثاني و غيرهما مما جاء في السورة الكريمة و السنة الصحيحة . رأى رسول الله ρ سدرة المنتهى و ما يغشاها ، ووصفها لنا بقوله ρ :[1] " ثُمَّ رُفِعت إِلَيَّ سِدْرَة المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهَى " . كما رأى رسول الله ρ آباءه و إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، كما ورد في الصحيحين ، كقوله ρ : [2] " ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ : مَنَ أَنْتَ قَالَ: جِبْرِيلُ ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ ، قَالَ: مُحَمَّدٌ ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ .... ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ρ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ " . و رأى جبريل υ في صورته الملائكية ، روى ابن مسعودٍ ψ قول الرسول ρ : [3] "رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح" جناح" ، و هي الرؤية التي نصت عليها سورة النجم في فواتحها و مما نصت عليه تلك الفواتح ، نوعين من الرؤية نسبا لرسول الله ρ ، رؤية الفؤاد ورؤية البصر و هما موجهتان للآيات المذكورة في الآية موضع البحث ، ثم اختتم الحق بالآية موضع البحث فقد رأى رسول الله ρ بالفؤاد و بالبصر " مِنْ آياتِ رَبِّهِ الآيات التي هي كبراها وعظماها ، حين رقي به إلى السماء ، فأُرِي عجائب الملكوت " .[4] و مجموع الآيات الثلاث ، يؤكد أن المعراج ، كان بالروح و الجسد معًا ؛ إذ كان الأمر مثار جدلٍ من قديم ، رأى فيه البعض أن الإسراء كان " بِجَسَدِهِ يَقَظَةً إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَإِلَى السَّمَاءِ بِالرُّوحِ ، بينما ذَهَبَ مُعْظَمُ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ إِلَى أنه كان بجسده ρ مع روحه " .[5]

و الملاحظ أن ذكر رؤية الفؤاد ، و إضافة رؤية البصر إليها ، ثم التأكيد على رؤية الآيات ، يؤكد أنهما كانتا بالجسد والروح معًا ، فقد رأى رسول الله ρ الآيات ببصره دون " أن يزيغ بصره عنه أو يتجاوزه ، أويعدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها ... وعرف بقلبه ، ولم يشك في أنّ ما رآه حق " .[6]

و لا شك أنها كانت رحلة مباركة عجيبة ، رأى فيها رسول الله ρ ما أعانه على الاستمرار في الدعوة بروحٍ جديدة ، أقامته " بين العالم القديم و العالم الحديث ، فهو من العالم القديم باعتبار مصدر رسالته ، و من العالم الحديث باعتبار الروح التي انطوت عليها " .[7]

---

[1] صحيح البخاري ، باب المعراج ، حديث رقم ٣٨٨٧ ، ج٥ ص٥٤ .

[2] صحيح مسلم ، باب الإسراء برسول الله ρ ، الحديث رقم ٢٥٩ ، ج١ ص١٤٥ ، ١٤٦ .

[3] الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها ، للشيخ الألباني ، ص١٠١ .

[4] تفسير الزمخشري ج٤ ص٤٢١ .

[5] تفسير فتح القدير للشوكاني ، ج٣ ص٢٤٦ ، بتصرفٍ بسيط .

[6] تفسير الزمخشري ج٤ ص٤٢٠ ، ٤٢١ ، بتصرفٍ بسيط .

[7] تجديد الخطاب الديني ، محمد إقبال ، ص١٥٢ .

المبحث الثالث : الآيات في سياق حديث القرآن عن دلائل القدرة في الكون و الإنسان

الدعوة إلى النظر في مخلوقات الله أول ما جعل الله من وسائل للوصول إليه والتعرف عليه – سبحانه – فمن أدار نظره في عجائب خلق الله في الأرض والسموات " لا يخفى عليه أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره ، وفاعل يحكمه و يقدره " .[1] و إذا كان حديث القرآن عن دلائل الخلق في الآفاق و الأنفس من أهم مداخل الإيمان بالعقيدة التي دخل بها القرآن إلى الإنسان ؛ فهي بذلك تتقاطع مع الوحي ومعجزات الرسل التي عرضنا لها – آنفاً – في الدلالة على الله .

و استقراء القرآن الكريم ، يبين أنه لفت الأنظار إلى ما أوجد الله على ظهر الأرض وفي باطنها وما جعل الله في صفحة السماء من دلائل الخلق ، وكذا لفت النظر إلى ما بينهما منها ، في كثير من آيات القرآن الكريم حتى أوصلها د زغلول النجار إلى ألف آية [2] . و في بعضها وسم الحق I هذه الدلائل بالآيات ، ونعرض فيما يلي لبعضها .

أولاً : الآيات المنثورة في خلق الكون و الإنسان .

تضمن القرآن حديثًا عن آيات السماء ، كالشمس و القمر و النجوم... الخ . وآيات الخلق في الأرض ، كمد الأرض و إرساء الجبال ، و إنبات الزروع و الثمار ، و الآيات في الأنفس .و باستقراء القرآن نجد أنه كثيرًا ما زاوج في السورة الواحدة ، بل و في الآية الواحدة بين الآيات المتنوعة في السماء و الأرض ، كما نجد في قوله I : [3] {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون}

و الآية بهذا تشير إلى ما حث عليه القرآن في مواضع كثيرة من تقليب البصر في السماء و الأرض للتفكر فيما فيهما من آياتٍ و دلائل على الخالق I ؛ لذا ذيلت الآية بأن في ذلك آيات لقومٍ يعقلون و المعنى أن فيهما " آيات لِقَوْمٍ ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون ؛ لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة " . [4]

و كما زاوج القرآن بينهما في بعض آياته ، فقد ذكرهما كلاً على حدة في آيات أخرى . يقول الحق I : [5] {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون}الآية الكريمة تعرض لواحدة من آيات الخلق في السماء " النجوم " عند تفسير الرازي للآية الكريمة ، ذكر أن النجوم " النَّوْعُ الثَّالِثُ مِنَ الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ " [6] في السورة الكريمة ،

---

[1] إحياء علوم الدين ، لحجة الإسلام الغزالي ، مكتبة مصر ، القاهرة ، سنة ١٩٩٨م ، ج١ ص١٤٠ .

[2] اعجاز القرآن زغلول النجار ، ص

[3] سورة البقرة ، الآية رقم ١٦٤ .

[4] تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢١١)

[5] سورة الأنعام ، الآية رقم ٩٧ .

[6] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٣/ ٧٩)

، كأنه يشير بذلك إلى دلائل سابقة ذكرت في آياتٍ سابقة من السورة ، مثل قوله I : [1] {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ... فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}

أشار المفسرون لما في النجوم من منافع عدة توطئ لما أشير إليه من آياتٍ فيها ، منها ما في قوله I :" {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ }[2] ،وقوله I : { وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ } [3]" [4] ، ومنها ما تشير إليه الآية من " أَنَّ هَذِهِ النُّجُومَ كَمَا يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى الطُّرُقَاتِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَكَذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى مَعْرِفَةِ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ " [5]

كما يمكن أن تشير " الآيات " في نهاية الآية إلى النجوم وإلى غيرها من دلائل كونية في آياتٍ سابقة من السورة نفسها ؛ و لهذا ذكرت مجموعة ، و يعضد هذا توالي الآيات القرآنية التي تتحدث عن دلائل القدرة في سورة الأنعام و في سورة البقرة ، وفي كثيرٍ من سور القرآن الكريم [6] و هذا ما قد يعني أن القرآن يلفت نظر القارئ و السامع إلى هذه الآيات معًا و يؤكد عليها جميعًا . و كثيرًا ما نجد الآيةً الواحدة تشير إلى أكثر من آيةٍ كونية ، فيتأكد ماقلناه ، يقول I : [7] {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون . إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُون}

بالنظر إلى الآيتين السابقتين ، نجد الأولى تتحدث عن الشمس و القمر ، و الثانية عن اختلاف الليل والنهار ؛ لذا جمع الآيات في ختام كل آيةٍ منهما . يقول صاحب اللباب عن الأولى : [8] "ومعنى التَّفصيل: هو ذكر هذه الدلائل الباهرة، واحدة عقب الأخرى مع الشَّرح والبيان، ثم قال : "لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ... و المراد منه تفكر وعلم فوائد مخلوقاته ؛ لأنَّ العلماء هم المنتفعون بهذه الدلائل " . ويقول أبو السعود عن الثانية : [9]

" تنبيهٌ آخرُ إجماليٌّ على ما ذُكر في تعاقبهما وكونِ كلَ منهما خِلْفةً للآخر ، بحسَب طلوعِ الشمسِ وغروبِها ... أو في تفاوتهما في أنفسهما بازدياد كلَ منهما بانتقاص الآخرِ ، أو في اختلافهما وتفاوتِهما بحسب الأمكنةِ إما في الطول والقِصَر ...لآيَاتٍ عظيمةً دالةً على وجودِ الصَّانعِ تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغِ حكمتِه " . و من الآيات التي عرضت لدلائل الخلق في الأرض ،

---

[1] سورة الأنعام ، الآيتان رقم ٩٥ ، ٩٦ .

[2] سورة الملك ، الآية رقم ٥ .

[3] سورة الملك ، الآية رقم ٥ .

[4] تفسير ابن عطية ، ج٢ص٣٢٦ .

[5] تفسير الرازي ، ج١٣ ص٨٠ .

[6] كما في سورة النحل ، و سورة الروم ، و غيرهما كثير .

[7] سورة يونس ، الآيتان رقم ٥ ، ٦ .

[8] اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ج١٠ ص٢٦٨ .

[9] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود ج٤ ص١٢١ ، ١٢٢ .

قوله I : [1] {وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِين} قال فيها الطبري : [2] " وفي الأرض عبر وعظات لأهل اليقين اليقين بحقيقة ما عاينوا إذا ساروا فيها "

يفصل ابن عطية ، فيذكر أنها " إشارة إلى لطائف الحكمة وعجائب الخلقة التي في الأرضين والجبال والمعادن والعيون وغير ذلك " . [3] و يزيد الزمخشري التفصيل لما في الأرض من آياتٍ " تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره ، حيث هي مدحوّة كالبساط وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها ، وهي مجزأة: فمن سهل وجبل وبر وبحر ، وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة ، وهي كالطروقة تلقح بألوان النبات وأنواع الأشجار ، وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها " [4] ففيها آياتٌ " لِلْمُوقِنِينَ الموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة ، فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة، كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها ، فازدادوا إيمانًا مع إيمانهم ، وإيقانا إلى إيقانهم " .[5]

هذا التفصيل في وجوه الآيات في الأرض جاء في القرآن نفسه في سورٍ كريمةٍ عدة . في النحل يقول الحق I : [6] {يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون ... وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُون}و عن الغاية من هذه الأنواع من الثمار ، يقول I :[7]{كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى} و عن الفلك ، ووجه الاعتبار فيها ، قال I : [8] {وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُون}عرض المفسرون لما لما في الآية من إلماح إلى سفينة نوح υ ، فقال ابن الجوزي : [9] "قوله تعالى: وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ .... أراد في سفينة نوح ، فنسب الذُّرِّيَّة إلى المخاطَبين ؛ لأنهم من جنسهم ، كأنه قال: ذُرِّيَّة الناس " . و هي بذلك آية نجاة البشر وقت الطوفان ، كما أشار البعض لما فيها من وجوه الدلالة على الخالق المنعم ؛ يذكر الرازي وجوهًا عدة عن مناسبتها في سياقها : [10] " أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا مَنَّ بِإِحْيَاءِ الْأَرْضِ ، بَيَّنَ أَنَّهُ جَعَلَ لِلْإِنْسَانِ طَرِيقًا يُتَّخَذُ مِنَ الْبَحْرِ يَسِيرُ فِيهِ كَمَا يَسِيرُ فِي الْبَرِّ . وَثَانِيهِا : أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ سِبَاحَةَ الْكَوَاكِبِ فِي الْأَفْلَاكِ ، ذَكَرَ مَا هُوَ مِثْلُهُ وَهُوَ سِبَاحَةُ الْفُلْكِ فِي الْبِحَارِ " .

---

[1] سورة الذاريات ، الآية رقم ٢٠

[2] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٢/ ٤١٨)

[3] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٧٥)

[4] تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣٩٩)

[5] تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣٩٩)

[6] سورة النحل ، الآيتان رقم ١١ ، ١٣ .

[7] سورة طه ، الآية رقم ٥٤ .

[8] سورة يس ، الآية رقم ٤١ .

[9] زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي ، ج٣ ص٥٢٥ .

[10] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٦/ ٢٨٢)

و كما بث الله I في السماء و الأرض آيات للناس للتفكر و الاعتبار ، جعل في الأنفس آياتٍ يعتبر بها الإنسان ، يقول الله I : [1] {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد}قال فيها الزمخشري من جملة القول : [2] " معناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته " . و يؤكد الألوسي ذلك في تفسيره لقوله I : [3] {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون} فذكر الأمر نفسه ، و بين أن المراد بالآيات

" الآيات الأنفسية والآفاقية " " . [4] و من الآيات الجامعة في سياق حديث القرآن عن الآيات في خلق خلق الأنفس ، قول الله I : [5] {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُون وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون وَمِنْ آيَاتِهِ ... وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِين وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُون}

الآيات الكريمة تتضمن حديثًا عن أمورٍ أربعة ، كلٌّ منها يعد أمرًا عظيمًا حريًّا أن يتفكر فيه الإنسان ؛ إذ يستدل به على غيوبٍ أخرى ذكرت في السورة نفسها ، كالبعث بعد الموت .

الأول : الحديث عن أصل الإنسان و خلقه . يقول ابن كثير: [6] " وَمِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ أَنَّهُ خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ ، " ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ" ، فَأَصْلُكُمْ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ثُمَّ تَصَوّر فَكَانَ عَلَقَةً... ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ صَغِيرًا ضَعِيفَ الْقُوَى وَالْحَرَكَةِ، ثُمَّ كَلَّمَا طَالَ عُمْرُهُ تَكَامَلَتْ قُوَاهُ وَحَرَكَاتُهُ حَتَّى آلَ بِهِ الْحَالُ إِلَى أَنْ صَارَ يَبْنِي الْمَدَائِنَ وَالْحُصُونَ... " .

الثاني : عن الزوجية في الإنسان ، و ما فيها من دلائل. يقول صاحب التحرير و التنوير : [7]

" هَذِهِ آيَةٌ ثَانِيَةٌ فِيهَا عِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ بِنِظَامِ النَّاسِ الْعَامِّ وَهُوَ نِظَامُ الِازْدِوَاجِ وَكَيْنُونَةِ الْعَائِلَةِ وَأَسَاسِ التَّنَاسُلِ، وَهُوَ نِظَامٌ عَجِيبٌ جَعَلَهُ اللَّهُ مُرْتَكِزًا فِي الْجِبِلَّةِ لَا يَشِذُّ عَنْهُ إِلَّا الشُّذَّاذُ. وَهِيَ آيَةٌ تَنْطَوِي عَلَى عِدَّةِ آيَاتٍ مِنْهَا: أَنْ جُعِلَ لِلْإِنْسَانِ نَامُوسُ التَّنَاسُلِ، وَأَنْ جُعِلَ تَنَاسُلُهُ بِالتَّزَاوُجِ ، وَأَنْ جَعَلَ أَزْوَاجَ الْإِنْسَانِ مِنْ صِنْفِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهَا مِنْ صِنْفٍ آخَرَ ؛ وَلِأَجَلِّ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ هَذَا الدَّلِيلُ وَيَتْبَعَهُ مِنَ النِّعَمِ وَالدَّلَائِلِ جُعِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَاتٍ عِدَّةً فِي قَوْلِهِ "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "

---

[1] سورة فصلت ، الآية رقم ٥٣ .

[2] تفسير الكشاف للزمخشري ، ج٤ ص٢٠١ .

[3] سورة النمل ، الآية رقم ٩٣ .

[٢٦٨] تفسير روح المعاني للألوسي ج٢٠ ص٤٠ .

[5] سورة الروم ، الآيات من ٢٠ : ٢٣ .

[6] تفسير ابن كثير ج ٦ ، ص٣٠٨ .

[7] التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور ، ج٢١ ص ٧٠ ، ٧١ .

الثالث : اختلاف البشر في اللسان و الشكل ، و هي سنةٌ من سنن الله في الخلق ، قرنها الحق I بخلق السموات و الأرض ؛ ليؤكد على معنى الآية فيها ، فهي علامة على طلاقة قدرته I . يقول الشوكاني : [1] " وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ ، أَيْ لُغَاتِكُمْ مِنْ عَرَبٍ، وَعَجَمٍ، وَتُرْكٍ، وَرُومٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ اللُّغَاتِ ، وَأَلْوانِكُمْ مِنَ الْبَيَاضِ، وَالسَّوَادِ، وَالْحُمْرَةِ، وَالصُّفْرَةِ، وَالزُّرْقَةِ، وَالْخُضْرَةِ، مَعَ كَوْنِكُمْ أَوْلَادَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ، وَفِي هَذَا مِنْ بَدِيعِ الْقُدْرَةِ مَا لَا يَعْقِلُهُ إِلَّا الْعَالَمُونَ، وَلَا يَفْهَمُهُ إِلَّا الْمُتَفَكِّرُونَ " . واختلاف الألسن و الأشكال ، يستتبع اختلاف الثقافات و الحضارات ، و هي آية الله في البشر كذلك

الرابع : اختلاف أحوالهم بين النوم و السعي على الرزق . و هما من الأعراض التي تعرض للبشر ، و تدل على طلاقة قدرة الله I . و قد ذكر العلماء وجوهًا عدة للآية في هذين الحالين ، فقالالطبري : [2] " ومن حججه عليكم تقديره والأوقات ، ومخالفته بين الليل والنهار، فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه ، وجعل النهار مضيئا لتصرّفكم في معايشكم والتماسكم فيه من رزق ربكم " .

<u>ثانيًا : الآيات في الآفاق و الأنفس و دعوة القرآن إلى التأمل فيها .</u>

إذا أنعمنا النظر في الآيات القرآنية المتعلقة بهذا المبحث ، نجد القرآن الكريم ينبه فيها على التلازم بين الآيات الكونية ، و ضرورة التأمل فيها والاعتبار منها ، والاستدلال بها على الأمور الغيبية التي أخبر القرآن عنها ؛ إذ نجد في ختام كثيرٍ من آيات هذا المبحث " إن في ذلك لآيات لقومٍ يسمعون ، لقوم يتفكرون ، لقومٍ يذكرون ، لقوم يوقنون ، لقوم يتقون ، لقوم يعلمون " ...الخ و قد كانت هذه الآيات بمثابة المنبه الأكبر إلى غيرها من الآيات التي تتفق معها في السياق ذاته ، و إن لم تتضمن لفظ "الآيات" . و قد ذكر د . زغلول النجار أن القرآن الكريم يتضمن " أكثر من ألف آية صريحة تتحدث عن الكون ، إضافة إلى آياتٍ أخرى تقترب دلالتها من الصراحة " .[3]

الجدير بالذكر أن علماء المسلمين تشبعوا من دلالات هذه الآيات القرآنية ، و طبقوا ما وعوه منها على أصعدةٍ متعددة .

الصعيد الأول : التفسير العلمي ، فقد اهتم المسلمون بالتفسير العلمي للقرآن الكريم ، في العصور المختلفة . كان حجة الإسلام الغزالي من أوائل من عرضوا لذلك في جواهر القرآن ؛ إذ يتحدث عن انشعاب سائر العلوم من القرآن ، يقول في ذلك :[4]

" قال الله I :{الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ}[5] وقال: {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ }[6] ، ولا ولا يعرف حقيقة سَيْرِ الشمسِ والقمرِ بِحُسبان، وخُسوفِهما وَوُلُوجِ الليلِ في النهار، وكيفيةَ تَكَوُّرِ أحدهما على الآخر، إلا من عرف هيئاتِ تركيبِ السَّماوَات والأرض، وهو علم برأسه . ولا يعرف كمالَ

---

[1] فتح القدير للشوكاني ، ج٤ ص٢٥٣ .

[2] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٠/ ٨٧)

[3] من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ج٣ ص١١ .

[4] جواهر القرآن ، للغزالي ، ص٤٦ .

[5] سورة الرحمن ، الآية رقم ٥ .

[6] سورة الحديد ، الآية رقم ٦ .

معنى قوله I : {يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ}[1] إلا من عرفَ تشريحَ الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً، وعددَها وأنواعَها وحكمتَها ومنافِعَها ، وهي من علوم الأوَّلين والآخِرين، وفي القرآن مَجامِعُ علم الأوَّلين والآخرين " . كما أشار السيوطي إلى العلوم المستنبطة من القرآن في النوع الخامس و الستين من علوم القرآن الكريم [2] ، و ذكر فيها ما يزيد على العشرين ، و كان من بينها علوم الطِّبِّ وَالْجَدَلِ وَالْهَيْئَةِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ وَالنِّجَامَةِ ، و أشار إلى الأمر نفسه في الإكليل في استنباط التنزيل ، وأحال إلى كلام أبي الفضل المرسي في تفسيره عن أن القرآن " جمع علوم الأولين و الآخرين " [3]

و قد كانت هذه الجهود الإرهصات التي أدت إلى ظهور كتب التفسير التي اهتمت بتفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ، و كذا الكتب التأصيلية لهذا النوع من التفسير ، و ما ترتب عليه من ظهور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم . و كان من أوائل كتب التفسير العلمي ظهورًا ، كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوي جوهري ، الذي قيل عنه ، إنه " أعجب تفسير قرآني عرفه العقل العربي على الإطلاق ؛ فالتفسير كله ينادي بأن القرآن يطلب من الإنسان أن يتوسع في شتى أنواع المعرفة وأن ينظر في كل العلوم نظرةً عميقةً ؛ ولذلك استعان الشيخ طنطاوي في تفسيره للقرآن بصفحات كاملة من صور التشريح والحيوانات والنباتات والخرائط ؛ كل ذلك ليثبت أن القرآن يدعم الروح العلمية ويؤكدها، ويدعو إليها دعوةً عميقةً وصريحة " .[4] و قد أشار هو نفسه إلى ما دفعه لتأليف تفسيره ، فقال : " يا أمة الإسلام ، آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرعاً من علم الرياضيات ، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها . هذا زمان ظهور نور الإسلام ، هذا زمان رقيه يا ليت شعري! لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في آيات الميراث " . [5] ثم توالت الكتب التي اهتمت بالتفسير العلمي للقرآن الكريم تطبيقًا و تأصيلاً ، لاسيما و قد تزامن ذلك مع ما استحدث من الاكتشافات العلمية .

الثاني : الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

كانت آيات البحث و غيرها في السياق نفسه ، اللبنة التي اعتمد عليها العلماء فيما ذهبوا إليه – حديثًا – من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم . و الإعجاز العلمي" هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقةٍ أثبتها العلم التجريبي ، و ثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ρ مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه I " [6] و الآيات التي وسمت دلائل الخلق في الكون و

---

[1] سورة الانفطار ، الآيات من ٦ : ٨ .

[2] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ج٤ ص٢٨ .

[3] الإكليل في استنباط التنزيل ، للسيوطي ، ص١٣ .

[4] من مقال : «تفسير للقرآن بالخرائط والصور: للأستاذ رجاء النقاش، مقال منشور بمجلة: «المصور»، بتاريخ ٣ من نوفمبر عام ١٩٧٢م.

[5] الجواهر في تفسير القرآن (المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات) : للأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري، مصطفى البابي الحلبي بمصر، سنة ١٣٥٠ هـ ، ج٣ ص١٩ .

[6] الإعجاز العلمي في القرآن و السنة ، د عبد الله بن عبد العزيز المصلح – د عبد الجواد الصاوي ، ص٢٨ .

الإنسان بالآيات – كانت و ما زالت علامات دالة ومرشدة إلى مواطن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، و دليل ذلك مما تتضمنه من الإشارات العلمية التي وظفها العلماء في هذا العلم الجديد ، حتى أنشأ المسلمون هيئة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي [١] ، و هي تؤكد على ما في القرآن الكريم من آياتٍ معجزات ؛ فآياته " تحمل الرسالة الإلهية ، كما تحمل الدليل على صدق هذه الرسالة " .[٢]

و الإعجاز العلمي – بذلك – وسيلة حديثة من وسائل الدعوة الإسلامية ؛ إذ يعتبر الإعجاز العلمي " قناةً آمنة ترفد بقية قنوات الدعوة إلى الله . والذي يتتبع أسباب دخول كثيرٍ من الناس في الإسلام – ممن كانوا نصارى أو بوذيين أو يهود – يجد فريقًا منهم قد ابتدأ سيره إلى الحق ، من خلال معاينة لطائف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة " [٣] ، فالقرآن الكريم لا يختلف مع الحقائق العلمية في شئ ، و لقد قضى الدكتور موريس بوكاي عشر سنوات يتعلم اللغة العربية و القرآن الكريم ؛ ليقارن بين ما جاء في القرآن الكريم ، وما استجد من الكشوف العلمية ، و انتهى الأمر بتأليفه كتاب التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم الحديث ، " أثبت فيه سلامة القرآن من التحريف ، ودخول التحريف على التوراة والإنجيل ، و أثبت تعارض ما بين أيدينا من نصوصٍ منسوبة إلى التوراة و الإنجيل مع العلوم الحديثة ، كما أثبت سبق القرآن لهذه العلوم " .[٤]

الثالث : البحث العلمي .

ذكر الشيخ طنطاوي جوهري أن الآيات القرآنية التي تعرض لدلائل قدرة الله في الآفاق ، و في الأنفس تبلغ حوالي ٧٠٠ آية ، كما ذكر د. زغلول النجار أنها أكثر من ألف آيةٍ صريحة ، إضافة إلى آياتٍ أخرى تقترب دلالتها من الصراحة بحيث " تشكل هذه الآيات الكونية حوالي سدس مجموع آيات القرآن الكريم " . [٥]

و نستنتج مما سبق ، أن الآيات المتعلقة بهذا الأمر يزداد كمها ، كلما مرت العصور ، و بمعنىً آخر كلما تقدم العلم ، ووضع يده على أحد أسرار العالم المكنونة ، انفتح في القرآن بابٌ لم يكن مفتوحًا من قبل ، وتجلى للعالم بفتحه سرٌّ من أسرار القرآن و إعجازه لم يصل إليه الناس إلا في عصرهم هذا المتأخر عن نزول القرآن الكريم . هذا عن الكم ، أما عن دلالة هذه الآيات ، فمما لاشك فيه أن مقدارًا كهذا من آيات القرآن الكريم يلزم معه أن يعترف كل عاقل أن الإسلام " يدعو صراحة إلى إعمال العقل بالتدبر و التأمل و النظر في الكون و في ملكوت السموات و الأرض . و يصوغ هذه الدعوة في صيغة

---

[١] أنشئت هذه الهيئة عام ١٤٠٤هـ ، بناءً على قرار المجلس الأعلى العالمي للمساجد برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في دورته التاسعة

[٢] الإعجاز العلمي في القرآن و السنة ، ص١٩ .

[٣] الإعجاز العلمي في القرآن و السنة ، ص٣٦ .

[٤] الإعجاز العلمي في القرآن و السنة ، ص٢٢ .

[٥] من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، د زغلول النجار ، ج٤ ص١٤ .

أوامر إلهيةٍ للإنسان عامة و للمسلم خاصة ؛ مما يظهر معه أن الإسلام لا يعارض النظر العقلي و حرية البحث " [١]

بل إن القرآن يلزم المسلم " في آياتٍ كثيرة بضرورة استخدام العقل كوسيلةٍ أولى و أساسية في المعرفة".[٢]

و قد ذكرنا فيما سبق آياتٌ كريمة تبين ذلك ؛ إذ أطلق القرآن على دلائل الخلق الآيات ، هذا إلى جانب الكثير من آيات القرآن الكريم التي قيدت إدراك دلائل قدرة الله في الخلق بوسائل عدة ، أولها العين التي لابد أن يصحبها آلات أخرى ، كالعقل – آلة التفكير و التعقل – و القلب – آلة الرؤية الإيمانية – و يتعمق المعنى عند استقراء تذييلات الآيات القرآنية التي كثيرًا ما انتهت باستفهامات أو تقريرات ، من مثل " أفلا تعقلون ، أفلا تبصرون ، تتفكرون ...الخ " . هذا يؤكد أن القرآن يثير في المسلم " الحس العلمي للتفكير والفهم و التعقل .. كما يرفع مكانة المسلم بفضيلة العلم " . [٣]

و قد ألقى هذا بظلاله على عقلية المسلم و بيئته ، حتى قال بعض أهل العلم : [٤] " إن هذا الكتاب الكريم أول أسباب تغلغل الحياة الفكرية في البيئات العربية " . و قد ظهرت هذه الظلال والآثار في مظاهر عدة ، منها الاهتمام بإنشاء المدارس ، و دور الكتب و تشجيع العلم والعلماء ؛ حتى انتقل أثر الحضارة العربية إلى أوروبا في بداية عصر النهضة ، و غير ذلك كثير . و لكن من أهم هذه الآثار ، المنهج التجريبي الذي أقام عليه المسلمون حركتهم العلمية ؛ لاسيما في العلوم العقلية والكونية ، كالطب والفلك و الرياضيات ، والجغرافيا و العلوم و المعادن ... الخ .

لقد اعتبر علماء المسلمين التجربة العلمية عبادة لله ، مثلها في ذلك مثل الذكر و الصلاة و الصيام ؛ لأن بذور الدعوة إليها وجدت في آيات القرآن الكريم ، مثل آيات هذا المبحث ، فقد ترك الإسلام الطبيعة وظواهرها و الكون و موجوداته " ترك الإسلام ذلك كله للإنسان يدرسه بكل طاقاته العقلية وإمكاناته المعملية ، و حثه على أن يجول في هذه الميادين ما استطاع إلى ذلك سبيلا ؛ حتى يكتشف سنن الله الكونية و نواميسه " [٥]

و لم يكن عجيبًا – و الأمر كذلك – أن فطن العرب المسلمون لأهمية التجربة العلمية قبل المحدثين من الغرب بمئات السنين و أكدوا على أهميتها في المجالات العلمية المتعددة .

يقول ديلامبر: " أما في الكيمياء ، فلا يمكنك أن تعد مجربًا واحدًا عند اليونانيين ، و لكنك تعد من المجربين مئتين عند العرب " . [٦] و الحال قريبة في علم الهيئة والفلك ؛ إذ يقول : " إذا عددت في

---

[١] الاستشراق و الفلسفة الإسلامية ، د محمد حسيني أبو سعدة ، ص٢٨٠ .

[٢] فلسفة الاستشراق ، ص٧ .

[٣] مباحث في علوم القرآن ، د مناع القطان ، ص٢٤٠ .

[٤] هذا هو الإسلام ، د . محمد غلاب ، ص٣٦ .

[٥] الإسلام و العقل ، د. عبد الحليم محمود ص١٨ .

[٦] الإسلام بين العلم و المدنية ، الأستاذ الإمام محمد عبده ، ص٩٦ .

اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصدين ، أمكنك أن تعد في العرب عددًا غير محصور " .[1] و يكفي أن نطلع على كتب التراجم و السير و معاجم العلماء ؛ لنتبين أننا لن نستطيع أن نعدد علماء العرب و اكتشافاتهم في مبحثٍ صغير ، إنما يحتاج الأمر لسفرٍ كبير كالذي قام به ابن النديم في الفهرست ، وزيغريد هونكة في شمس العرب تسطع على الغرب ، و كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ... الخ ، حتى قال لوبون عن المسلم : إنه " أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين" .[2]

فياليتنا نعيش بتلك الروح التي عاش بها أسلافنا الأوائل من المسلمين ، و نلتزم بما التزموا به من قيم القرآن العقلية و مبادئه العلمية ؛ إذن لملئنا سمع الدنيا و بصرها كما ملئوهما علمًا و رقيًّا وحضارة و مدنية ، لاسيما و القوة التي بثت فيهم تلكم الروح ما زالت بين أيدينا ، فما زالت أوامر الرحمن و تساؤلاته الموجهة تترى في كتاب الله و تتلى بتلاوته ، و ليس أدل على استمرار تلك الروح من وجود الكثير من الإشارات العلمية في القرآن الكريم ، و التي اتفق العلماء على تسميتها بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، فالآيات التي تحمل هذه الإشارات تدعو لإطلاق القدرة الإبداعية لدى المسلمين ، بل "تفتح للمسلمين أبواب المعرفة ، و تدعوهم إلى ولوجها و السبق إليها ، والتقدم فيها " .[3]

المبحث الرابع : الآيات في سياق حديث القرآن عن إهلاك الكافرين و إنجاء المؤمنين

تضمن القرآن الكريم في كثيرٍ من آيات البحث ، إيضاح التمايز بين العباد من حيث عاقبتهم في الدنيا ، وجعل هذه العاقبة أو تلك آية من آيات الله المتنوعة ؛ ذلك أنها ترتبت على مواقفهم من القضايا الإيمانية . و الملاحظ أن كثيرًا من آيات البحث عرضت لمواقف العباد –مؤمن و كافر – من آيات الله I المتنوعة ، وعلى أساس تنوع المواقف ، تنوعت العواقب التي جعلها الله I من آياته في عباده يعتبر بها الناس . وفيما يلي عرض لهذه المواقف ، و ما ترتب عليها من عواقب .

أولاً : مواقف الكافرين و عواقبهم .

استقراء الآيات القرآنية الكريمة في هذا السياق يوقفنا على أن مواقف الكفار على اختلاف رسلهم وأزمنتهم

بمثابة الموقف الواحد ، تتمثل في رفض هذه الآيات و التكذيب بها . يقول الله I عن موقفهم من آيات الله: [4] {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا}و الآية الكريمة جمعت بين نوعين من الآيات التي يكذب بها الكفار : الآيات المسموعة والآيات المرئية ، وزاوجت بين ذكر السمع وكونه حاسة الأذن التي يسمع بها الآيات المتلوة ، وبين الرؤية التي يرى بها آيات الخلق أو معجزات الأنبياء الخارقة ؛ لتثبت بذلك ما اتصفوا به من افتقادهم

[1] المرجع السابق ، الصحة نفسها .

[2] المرجع السابق ، ص٩٧ .

[3] مباحث في علوم القرآن ، د مناع القطان ، ص٢٤١ ، بتصرفٍ بسيط .

[4] سورة الأنعام ، الآية رقم ٢٥ .

لمنفعة حواسهم ، فلا هم يعقلون ما يسمعون ، ولا هم يؤمنون بما يرون من آيات يطلبونها . و تدرج الحديث من السمع للبصر يفيد أنه رتبها حسب استعمالها في تلقي العلم عن رسل الله باعتبار أنهما من أهم وسائل تحصيل المعرفة ، فمن البشر من يكفيه في تصديق الرسل ما يسمعه من وحي السماء منهم ، فيعلم به " علم اليقين " ومنهم من لا يرضيه إلا رؤية خوارق العادات الحسية – عين اليقين – من المعجزات التي يجريها الله على يد أنبيائه ، كما رأينا في قصة صالح وموسى υ مع قوميهما ، و غالبًا ما يبحث الفريق الثاني عن اللجاج ، و ليس الوصول إلى معرفة الحق ، فلا تكفيهم من الآيات ، لا الأولى ولا الثانية ، وهم المقصودون في الآية الكريمة يقول الطبري : [1] " ومن قومك يا محمد من يستمع القرآن منك ولا يصغي له سمعه ليتفقهه فيفهم حجج الله ... إنما يسمع صوتك ولا يعقل عنك ما تقول . وإن ير هؤلاء كل حجه وعلامة تدل أهل الحجى على توحيد الله وصدق قولك لا يصدقون بها ولا يقرون " . هناك مواقف أخرى للكفار من آيات الله I ، أشير إليها في مثل قوله I :[2]{وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُون} إذا كان أسلوب الشرط في آية سورة الأنعام – السابقة – يربط بين الرؤية وعدم الإيمان ، فإن آية سورة الصافات تبين تجاوز حد عدم الإيمان إلى السخرية والاستهزاء بآيات الله ، وقد عبر القرآن عن السخرية بقوله : (يستسخرون) وهي دالة على المبالغة في السخرية ، يقول الزمخشري : "يستسخرون يبالغون في السخرية " [3] و جاءت مبالغاً فيها ؛ لأنها جاءت بعد سخرية ذكرت في آية سابقة ، يقول I :[4]{بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُون} فكأنهم أضافوا إلى سخريتهم من النبي ، سخريتهم من الآيات التي يفترض أن يكون ظهورها سببا في تحولهم عن الكفر . هذه الآيات عرضت للمواقف الرافضة لآيات الله على تنوعها ؛ لذا كانت العقوبات التي أنزلها الله على أصحابها آيات أيضًا ؛ لأنها محط اعتبار البشر ؛ إذ هي من قبيل الاستئصال . عرض القرآن لعواقب أممٍ سابقة ، مثل قوم نوح ، و قوم هود ، و قوم صالح ، وقوم لوط ، وقوم شعيب وقوم سبأ ، و كذا فرعون وجعل عواقبهم جميعًا من آياته للخلق في حوالي خمسة عشر موضعًا إضافة إلى مواضع أخرى تتكلم عن عواقب الأمم بشكل عام ، إذا حادت عن سنن الله I ، يقول الله I عن عاقبة قوم نوح υ : [5] {وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً }يقول الرازي:[6] " أَيْ وَجَعَلْنَا إِغْرَاقَهُمْ أَوْ قِصَّتَهُمْ آيَةً " . و يقول ابن عطية :[7] " قوله آيَةً ، أي علامة على سطوة الله تعالى بكل كافر بأنبيائه " . و يقول السمرقندي : [8] "وَجَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً يعني : عبرة لمن بعدهم " . و ليست الآية الكريمة ، الموضع

[1] تفسير جامع البيان للطبري ج٥ ص١٦٨ .
[2] سورة الصافات ، الآية رقم ١٤ .
[3] تفسير الكشاف للزمخشري ، ج٤ ص٣٧ .
[4] سورة الصافات ، الآية رقم ١٢ .
[5] سورة الفرقان ، الآية رقم ٣٧ .
[6] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٤٥٩)
[7] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢١٠)
[8] تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٢/ ٥٣٩

الوحيد الذي تضمن إشارةً إلى العبرة في قصة قوم نوح υ ، يقول I :[1]{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين} الآية الكريمة تكررت عدة مرات في سورة الشعراء ، عقب حديث السورة عن عاقبة أقوام الرسلυ و أشار المفسرون إلى ذلك في تفسيرهم للآية الكريمة ، فقال ابن عاشور :[2] " تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي نَظِيرِهِ آنِفًا ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ آيَةً ؛ لِأَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الِانْقِلَابَ الْعَظِيمَ فِي أَحْوَالِ الْفَرِيقَيْنِ الْخَارِجَ عَنْ مُعْتَادِ تَقَلُّبَاتِ الدُّوَلِ وَالْأُمَمِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ تَصَرُّفٌ إِلَهِيٌّ خَاصٌّ أَيَّدَ بِهِ رَسُولَهُ وَأُمَّتَهُ وَخَضَّدَ بِهِ شَوْكَةَ أَعْدَائِهِمْ وَمَنْ كَفَرُوا بِهِ، فَهُوَ آيَةٌ عَلَى عَوَاقِبِ تَكْذِيبِ رُسُلِ اللَّهِ " . و قريب من ذلك قول الشيخ أبي زهرة الذي رأى أن " لآية : أي لمعجزة قاهرة دالة على رسالة نوح υ ، وعلى قوة صبره ، ومع ذلك ما آمن معه إلا عدد قليل، وهذا دليل على أن المعجزة الحسية التي كانوا يطالبون بها ، ليس من شأنها أن تحملهم على الإيمان حملا، إذا لم تكن النفوس راضية متجهة إلى الإيمان من غير معوق".[3] معوق".[3]

و الشيخ يشير إلى أن الطوفان كان بمثابة معجزةٍ حسية ، يمكن أن تدفع القوم للإيمان ، إذا كانت لديهم الدافعية والإرادة ؛ لذا حاول نوحٌ υ مع ابنه ، فناداه ؛ ليركب معه للنجاة من الغرق ، لكنه استخف بالأمر و فضل أن يظل في جانب الكفر حتى لحظة النهاية .[4] و قد فسرت الآية تفسيرًا قريبًا قريبًا من هذا التفسير عند تكرارها عقب قصة كلٍّ منهم ، جاء في التفسير المنتخب :[5] " إن في ذكر قصتهم لدلالة على قدرة الله على إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين " .

من الآيات القرآنية التي جاءت في السياق نفسه ، قوله I :[6] {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُور}

الآية الكريمة جاءت في نهاية قصة قوم سبأ ، و هي تتضمن مثالاً آخر على تبدل الأحوال . و قد جاء في بداية القصة قوله I :[7] {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُور}فقد حبا الله I سبأً في مسكنهم بآيةٍ من آياته جنتين يتفيئون ظلالهما و يطعمون رزقهما و هم في مكانٍ صحراوي – جغرافيًّا– يندر ، إن لم ينعدم فيه ، مثل هاتين الجنتين ، كما حباهم الله بنعمة الأمن حال سفرهم إلى قرىً أخرى ، يقول I :[8] {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِين}و المعنى : جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارك الله فيها ، " وهي الشام قُرًى ظَاهِرَةً متتابعة ، لا تنتهي من قرية حتى تبدو

[1] سورة الشعراء ، الآية رقم ١٢١ .
[2] التحرير والتنوير (١٩/ ١٣٦)
[3] زهرة التفاسير للشيخ محمد أبي زهرة ، ج ص .
[4] سورة هود ، الآيتان رقم ٤٢ ، ٤٣ .
[5] المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٥٥٦)
[6] سورة سبأ ، الآية رقم ١٩ .
[7] سورة سبأ ، الآية رقم ١٥ .
[8] سورة سبأ ، الآية رقم ١٨ .

لك أخرى ؛ وَقَدَّرْنَا في هذه القرى السَّيْرَ ، فلا يكاد السائر يقبل في قرية ؛ حتى يبيت في أخرى ؛ فلا يحتاج إلى مزيد من الأمن والزاد " [1] ، و لكنهم نهجوا نهج الأمم الذين قص القرآن خبرهم ، أبطرتهم النعمة فطغوا و أطاعوا الشيطان ، واعوجوا عن سبيل الإيمان الملازم للأمن الداخلي و الخارجي ، فأذاقهم الله لباس الجوع و الخوف . يقول الله I : [2] {فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ} ثم جاءت الآية موضع البحث ؛ تبين أن القصة بأكملها من آيات الله في عباده ، فالنعمة في مكان يندر فيه مثلها من آيات الله التي تستوجب الشكر ، و كفران النعمة و اتباع الهوى يستوجبان عقابًا هو نفسه من آيات الله المعتبرة في البشر ؛ و لهذا جاءت آيات بالجمع في نهاية الآية. يؤكد ذلك قول الطاهر بن عاشور : [3] " وَجُمِعَ الْآيَاتُ ؛ لِأَنَّ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ عِدَّةُ آيَاتٍ وَعِبَرٍ ، فَحَالَةُ مَسَاكِنِهِمْ آيَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَإِنْعَامِهِ ، وَفِي إِرْسَالِ سيل العرم عَلَيْهِم آيَةٌ على انْفِرَاده تَعَالَى بِالتَّصَرُّفِ، وَفِي انْعِكَاسِ حَالِهِمْ مِنَ الرَّفَاهَةِ إِلَى الشَّظَفِ آيَةٌ عَلَى تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ ، وَفِي تَمَنِّيهِمْ زَوَالَ ذَلِكَ آيَةٌ عَلَى مَا قَدْ تَبْلُغُهُ الْعُقُولُ مِنَ الِانْحِطَاطِ الْمُفْضِي إِلَى اخْتِلَالِ أُمُورِ الْأُمَّةِ وَذَهَابِ عَظَمَتِهَا " و لذا جعلها الله آيات لكل صبار شكور ، و هما صيغتا مبالغة ينبغي أن يتصف المؤمن بهما معًا ، و أن يجعلهما العادة والديدن ؛ لأن الصبار و الشكور كليهما لا يطمئن لحالٍ في الدنيا فلا يجزع لمصاب ، و لا تبطره النعمة .

و بهذا نستطيع القول ؛ إن القرآن جعل عواقب الأمم المكذبة المعاندة نوعًا من الآيات ، كالآيات التي بثها في الآفاق والأنفس ، و كذا المعجزات التي أيد الله I بها رسله υ ؛ ولذا نجد القرآن في سورة الشعراء يتحدث عن الإنبات ، و يجعله آية[4] ، ثم يتحدث عن عقوبة استئصال الأقوام فيجعله آيةً أيضًا ، و ذلك يعطيها بعد استمرار العبرة ؛ ليظل موضع الاعتبار موجودًا في قصصهم مع تعاقب القرون وتقلب البشر فيها ، لاسيما مع وجود أماكنهم التي حث القرآن على الاعتبار منها في سورٍ كريمة أخرى .

ثانيًا : مواقف المؤمنين و عواقبهم .

إذا كانت عاقبة الكافر محصلةً حتمية لفعله ، فإن عاقبة المؤمن لاشك فيها ؛ لأنها نتيجة ما سلكه و التأمل

في القرآن يظهر تزاوجًا بين العاقبتين في مواضع كثيرة ، وجعْل كلتيهما آيةً من آيات الله I . امتدح الله I موقف المؤمنين من آياته المتنوعة في مواضع كثيرة ، منها قوله I في بيان صفات عباد الرحمن

[1] أوضح التفاسير ، الشيخ محمد الخطيب (١/ ٥٢٣)

[2] سورة سبأ ، الآية رقم ١٦ .

[3] التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور ج٢٢ ص١٨٠ .

[4] سورة الشعراء ، الآيتان رقم ٧ ، ٨ .

: [1] {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا}و الآية الكريمة تؤمئ إلى نوعين من آيات الله : مسموعة و منظورة ، يفهم ذلك من الصلة المنفية فهم لا يصمون آذانهم عن آيات الله المسموعة ، و لا يعمون أعينهم عن آياته المرئية ، و كأنه تعريض بالكافرين الذين تحدث القرآن عن افتقادهم الانتفاع بالحواس – سابقًا – ، كما شبههم بالصم و العمي [2] يقول ابن عاشور :[3] " أُرِيدَ تَمْيِيزُ الْمُؤْمِنِينَ بِمُخَالَفَةِ حَالَةٍ هِيَ مِنْ حَالَاتِ الْمُشْرِكِينَ وَتِلْكَ هِيَ حَالَةُ سَمَاعِهِمْ دَعْوَةَ الرَّسُولِ ρ وَطَلَبِ النَّظَرِ فِي دَلَائِلِ الْوَحْدَانِيَّةِ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ خَرُّوا صُمًّا وَعُمْيَانًا... وَفِي عَكْسِ ذَلِكَ يُسْتَعَارُ الْإِقْبَالُ وَالتَّلَقِّي وَالْقِيَامُ لِلِاهْتِمَامِ بِالْأَمْرِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ ... و المعنى لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا فِي حَالَةٍ كَالصَّمَمِ وَالْعَمَى وَلَكِنَّهُمْ يَخِرُّونَ عَلَيْهَا سَامِعِينَ مُبْصِرِينَ فَيَكُونُ الْخُرُورُ مُسْتَعَارًا لِلْحِرْصِ عَلَى الْعَمَلِ " .

و الآية تشير إلى ما يتمتع به المؤمن من إدراكٍ واعٍ متيقظ للمسموع من الآيات و المرئي منها وكثيرًا ما وجدنا القرآن الكريم يقارن بين الفريقين ، من حيث هذه الصفة و تلك . يقول الله I : [4] {وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِير وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّور وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُور وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاء وَلاَ الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاء وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُور}الآيات الكريمة تضرب أمثلة للمؤمن و الكافر ، تنفي بهما استواء المؤمن والكافر ، و تنفي استواء حياة كل منهما فالأول يعيش في النور نور الله . أما الكافر فهو يتخبط في ظلمات ضلاله وكفره وكبريائه وإعراضه ... الخ ظلمات حياته المتعددة .

و كما كان جزاء الكافرين من جنس عملهم ، فجعل الله I إهلاكهم آية ، فكذلك عاقبة المؤمنين –عامةً – وعاقبة نفرٍ منهم – خاصةً – و إنجائهم مما أحاط بهم من أخطار ، من آيات الله I في عباده . يقول الله I في قصة نوح υ: [5]{فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِين} ذكر ابن عطية أن " الضمير في قوله وَجَعَلْناها يحتمل أن يعود على السَّفِينَةِ ، ويحتمل أن يعود على العقوبة ويحتمل أن يعود على النجاة ، والآية هنا العبرة على قدرة الله تعالى في شدة بطشه " .[6] فالسفينة آيةً باقية ، حتى حتى تكلم العلماء في اكتشاف مكانها حديثًا ، و عقوبة الكافرين آية ، و نجاة المؤمنين آية ، نستنبط كليهما من التاريخ و عبره و خبراته ؛ ولذا جمع القرآن ، فقال آيات في نهاية قصة نوح υ وقومه في سورةٍ أخرى . يقول الله I :[7] {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِين}.

من قصص النجاة الأخرى التي أكد القرآن الكريم على ما فيها من آيات ، نجاة نبي الله إبراهيم υ بعد أن ألقاه قومه في النار ، و قد وردت القصة في أكثر من موضعٍ ، منها يقول الله I : [8] {فَمَا كَانَ

[1] سورة الفرقان ، الآية رقم ٧٣ .

[2] كما في سورة البقرة الآية رقم ١٨ ، و سورة النمل الآيتان رقم ٨٠ ، ٨١ ، و غيرهم.

[3] تفسير التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور ، ج١٩ ص٨٠ ، ٨١ .

[4] سورة فاطر ، الآيات من ١٩ : ٢٢ .

[5] سورة العنكبوت ، الآية رقم ١٥ .

[6] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣١٠)

[7] سورة المؤمنون ، الآية رقم ٣٠ .

[8] سورة العنكبوت ، الآية رقم ٢٤ .

جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون}الآية الكريمة تعرض لأمرٍ خارقٍ للعادة ، جرى لإبراهيم υ ، و هو نجاته من الإحراق بعد إلقائه في النار المعدة له من قبل كفار قومه ؛ لذا جعله الله I من آياته في العباد . ذكر ابن عطية أن الله جعله " آية وعبرة ودليلا على وحدانيته لمن يسره للإيمان ، والكفار هي عليهم عمى ، وإن كانت في نفسها آية للكل "[1] ؛ و لذا جاءت آيات بالجمع . و قد تطرق المفسرون لوجوه الآيات في ذلك ، فذكر الرازي فيها مسائل ، يقول : [2] " لَآيَاتٍ بِالْجَمْعِ لِأَنَّ ..... الْإِنْجَاءُ مِنَ النَّارِ عَجِيبٌ فَقَالَ فِيهِ آيَاتٌ .... لأن تَبْرِيدُ النَّارِ فِي نَفْسِهِ آيَةٌ إِذَا وُجِدَتْ لَا تَحْتَاجُ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ ؛ حَتَّى يَصِيرَ آيَةً " .

و كون النار بشارة للمؤمنين آية يتأكد عندما نستعرض ما ورد في القرآن من قصص المؤمنين الذين تعرضوا للابتلاء ، فنجاهم الله و جعل ذلك آية للناس . منهم الفتية أصحاب الكهف الذي جعلهم الله I من آياته عجبًا . يقول الله I :[3]{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا}

فالآية جاءت في سياق قصة أصحاب الكهف ، هؤلاء الفتية الذين أووا إلى الكهف ؛ لئلا يفتنهم قومهم بإعادتهم إلى الكفر مرة أخرى . وقد جعلهم الله من آياته ؛ إكراما لهم و موعظة يعتبر بها الناس . ومحل الاعتبار في قصة أصحاب الكهف متعدد . منه مدة نومهم في الكهف التي بلغت كما بينت السورة :[4]

{وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} . ومنه بعثهم بعد هذه القرون الطويلة للحياة من جديد . و منه ما جاء في قوله I : [5] {وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ}و الآية تعرض لهيئتهم التي كانوا عليها داخل الكهف وما فيها من دلائل وعبر ؛ و كيف كان لطف الله بهم حيث جعل الشمس تزور عنهم في شروقها وغروبها ، بحيث لا يدخل الكهف منها إلا ما ينفعهم . و ذلك محل للاعتبار ، فالآية نصت على كون ذلك من آيات الله . و قد جاء الخطاب بالفعل المضارع ترى ؛ ليكون ذلك أبلغ في نقل الصورة الماضية وتخيلها كأنه يعيد الماضي من جديد ويجسده في هذه الصورة ليراه المخاطب من جديد . يقول أبو السعود : [6] " وترى الشمس : الخطاب للرسول ρ ، أو

لكل أحد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الإخبار بوقوع الرؤية تحقيقا ، بل الإنباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس " وكأنها رؤية تخيلية تعتمد على تتبع بصر ذهن المخاطب للصورة التي ترسمها الآية ؛ لترتسم فيه بارتسامها الآية التي أشارت إليها الآية موضع البحث ؛ فقد يسر لهم الله " غارا إذا طلعت الشمس تميل عنه يمينا وعند غروبها تميل عنه شمالا ، وهم في فجوة من الكهف ، أي

[1] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣١٣)

[2] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٥/ ٤٥)

[3] سورة الكهف ، الآية رقم ٩ .

[4] سورة الكهف ، الآية رقم ٢٥ .

[5] سورة الكهف ، الآية ١٧ .

[6] تفسير إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج٥ ص٢١١ .

مكان متسع وذلك ليطرقهم الهواء والنسيم ويزول عنهم الوخم ؛ خصوصا مع طول المكث . وذلك من آيات الله الدالة على قدرته ورحمته وإجابة دعائهم وهدايتهم " . [1] و بهذا كان أصحاب الكهف و العزير من آيات الله العجب ؛ إذ كان كلاهما آية على البعث بعد الموت و دليلاً على طلاقة قدرة الله فيما يريد ، و منه إنجاء المؤمنين وتيسير الأسباب لذلك .

الخاتمة

حقًّا ، كان البحث رحلةً ممتعة ، تقدم التفسير الموضوعي ، بوصفه اتجاهًا جديدًا في التفسير _ إذا ما قورن بغيره من أنواع التفسير _ وهو يوقفنا على عطاء جديد من عطاءات القرآن المتجددة مع كل عصر و قد ناقشنا فيه قضايا شتى ، كانت موزعةً بين علوم اللغة و المعاجم ، و علوم القرآن قديمها و حديثها ، و علوم الفقه ، فإذا بها تصاغ في هذا البحث عملا علميا متكامل الأجزاء ، أرجو أن يكون لبنة تضيف جديدا لمكتبة القرآن وعلوم تفسيره ، بما انتهى إليه هذا العمل من نتائج نذكر أهمها فيما يلي :

١- إن دلالات كلمة الآية اللغوية و الاصطلاحية ، تبين أنها من " المشترك اللفظي الذي يطلق على عدة معانٍ منها: المعجزة والعلامة ، والعبرة ، والأمر العجيب ، والدليل ، والجماعة" . [2]

من أجل ذلك وجدنا الآية أطلقت في القرآن ؛ لتدل على أمورٍ عدة :

- تدل على الآية من القرآن ؛ لأنها تفصل القرآن و تعلمه بأجزائه و سوره .
- تدل على معجزات الأنبياء υ ؛ لما فيها من الدلائل و العبر و العلامات على صدق الأنبياء υ.
- تدل على عجائب صنع الله في الآفاق و في الأنفس ؛ لأنها من دلائل وجود الله و العلم به بالغيب ، و من دلائل الإعجاز للبشر في الحياة الدنيا .
- تدل على مصارع الكفار و استئصالهم ؛ لأن قصص مصرعهم كان آية و علامة لهم أنفسهم على صدق أنبيائهم υ ، كما كان عبرةً لغيرهم على ذلك .
- تدل على نجاة المؤمنين من أتباع الرسل مما حل بالأقوام من العذاب ؛ للسبب ذاته ؛ إذ فيه من الاعتبار ما فيه مما يؤكد على إنجاء المؤمن ، و إهلاك الكافر .

٢- إن تتبع الآيات القرآنية التي وردت فيها لفظ الآية أو الآيات ، يجدها لا تخرج عن معنىً من المعاني الخمسة السابقة واستعراض الآيات القرآنية التي وردت فيها ، و تبلغ ٣٨٢ آية يؤكد ذلك .

٣- كلمة الآية التي ترد في القرآن الكريم قد تحمل معنىً أو أكثر من المعاني السابقة ، حتى يمكن أن نجعل الآيات ذات الدلالات المتعددة ، قسمًا قائمًا بذاته .

---

[1] تفسير السعدي ج١ ص٤٧٢ .

[2] الوافي في كيفية ترتيل القرآن ، أحمد محمود عبد السميع الشافعي ، ص٢٠

٤- كثرة الآيات القرآنية في هذا الموضوع أدت إلى صعوبة تنظيمها موضوعيًّا ؛ لأن الآية الواحدة قد يتداخل فيها أكثر من موضوع . و تم التغلب على ذلك بعزو الآيات إلى أكثر السياقات وضوحًا فيها مع الأخذ في الاعتبار أن تقسيمها تقريبيٌّ ، و ليس تقسيمًا فاصلاً ، ساعدنا في القيام به ، سياق الآيات القرآنية نفسها ، و ما فيه من القرائن والمصاحبات ، إلى جانب أسباب النزول ، و تفسير القرآن الكريم التي تجعلنا نغلب جانبًا على آخر ، و دلالةً على أخرى ، كلٌّ في موضعه

٥- دراسة الآيات في هذا البحث ألمح إلى الترابط التام بين دلالاتها المتعددة في القرآن الكريم ، فهناك آيات جاءت في سياق معرفة الله I ، بمعنى أنها من وسائل معرفة الله I ، مثل الكتب السماوية " الوحي " ومعجزات الرسل υ و دلائل الآفاق و الأنفس . وبناءً على موقف العباد من هذه الآيات بالقبول أو الرفض ، يجازيهم الله ، فتكون عواقبهم من آيات الله في البشر التي يبقيها سننًا في تاريخ البشرية للعظة و الاعتبار .

٦- على الرغم من هذا الترابط بين أنواع الآيات في القرآن ، فإن استقراء معاني الآيات ، يبين أن كلاًّ منها كان مجموعةً ، تمثل جماعةً في نفسها ، تختص بجانبٍ معين ، فآيات الوحي " الكتب السماوية " جماعة في نفسها ، و آيات الرسل " معجزاتهم " جماعة أيضًا ، و كذا آيات الكون " دلائله على الله " ، والهلاك و النجاة " سنن الله في إبقاء الخلق و استئصالهم .

٧- الآيات في القرآن جاءت متنوعة بين حسية و معنوية " عقلية – قلبية " ؛ لتتناسب مع عقول البشر جميعًا في كل عصر ؛ و تتناسب مع ظروفهم و إمكانياتهم و حدود معرفتهم كذلك .

٨- هناك مواضع كثيرة تكلم فيها القرآن عن هذه الآيات ، من غير استعمال لفظ الآيات ، مما يعني أنها تتسع عن هذا كثيرًا ، و أن القرآن يفسر بعضه بعضًا .

٩- إن قضية البحث العلمي في دلائل قدرة الله في خلق الآفاق والأنفس من أهم القضايا التي طرحها البحث في أحد سياقات مباحثه ، وهو ما وجدناه في المبحث الثالث من خلال ما وجدنا من الآيات التي ترشد إلى بعض آيات الله و عجائبه I في خلق السموات و الأرض و ما فيهما ، و كذا خلق الإنسان ، مما كان له الأثر الأكبر في نهضة المسلمين قديمًا ؛ لتشبعهم بتلك الآيات و كذا كانت هذه الآيات البذرة الأولى للإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، الذي قامت له الآن هيئات و مؤسسات وندوات ومؤتمرات تدعو إلى الله على بصيرةٍ من هذا الإعجاز ، و تدافع عن الإسلام ومصدريه القرآن و السنة ، بقبسٍ من الإعجاز العلمي فيهما – أيضًا –

المصادر و المراجع

١- الألمعي : زاهر عواض .
- دراسات في التفسير الموضوعي ، الرياض ط الثالثة ٢٠٠٤م .

٢- الأنباري : أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت : ٣٢٨هـ)
- الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط الأولى ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م .

٣- الألباني : أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني(ت١٤٢٠هـ)
- الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها ، المكتبة الإسلامية ، ط ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٤- إقبال : محمد .
- تجديد التفكير الديني ، ترجمة : عباس محمود ، راجع المقدمة و الفصل الأول : عبد العزيز المراغي ، راجع بقية الكتاب : د مهدي علام ، دار الهداية للطباعة و النشر و التوزيع ، ط الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٥- الألوسي : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت : ١٢٧٠هـ)
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى ١٤١٥ هـ .

٦- الباوردي : أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم الزاهد المطرز ، المعروف بغلام ثعلب (ت ٣٤٥هـ)
- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن ، ، تحقيق و تقديم : محمد بن يعقوب التركستاني ، مكتبة العلوم والحكم – السعودية المدينة المنورة ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٧- البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت :)
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ρ وسننه وأيامه " صحيح البخاري " تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة . (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط الأولى ١٤٢٢هـ

٨- البغوي : أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ بن محمد بن الفراء الشافعي (ت ٥١٠هـ)
- معالم التنزيل في تفسير القرآن " تفسير البغوي " تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط الأولى ١٤٢٠ هـ .

٩- البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت : ٤٥٨هـ)

- السنن الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط الثالثة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

١٠- الجربوع : عبد الله بن عبد الرحمن .

- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

١١- الجرجاني : علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت : ٨١٦ هـ)

- التعريفات ، تحقيق : جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

١٢- ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)

- زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط الأولى ١٤٢٢ هـ .

١٣- جوهري : طنطاوي (الشيخ)

- الجواهر في تفسير القرآن (المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات) ، مصطفى البابي الحلبي بمصر، سنة ١٣٥٠ هـ .

١٤- الحاكم : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت : ٤٠٥هـ)

- المستدرك على الصحيحين ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م .

١٥- ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي الدارمي البُستي (ت : ٣٥٤هـ)

- صحيح ابن حبان " ترتيب ابن بلبان " تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط الثانية ١٤١٤ – ١٩٩٣م .

١٦- الحجازي : محمد محمود .

- التفسير الواضح ، دار الجيل الجديد – بيروت ، ط العاشرة ١٤١٣ هـ

١٧- ابن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي

- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، أخرجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب علق عليه العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار المعرفة – بيروت ، ط ١٣٧٩ .

١٨- الحفيان : أحمد محمود عبد السميع الشافعي

- الوافي في كيفية ترتيل القرآن (شرح وافٍ لمتني الجزرية و تحفة الأطفال) ، دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٩- ابن حنبل : الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت : ٢٤١هـ)

- مسند الإمام أحمد ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

٢٠- أبو حيان : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت : ٧٤٥هـ) - البحر المحيط في التفسير ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ، ط١٤٢٠ هـ .

٢١- ابن خزيمة : أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري

(ت : ٣١١هـ)

- صحيح ابن خزيمة ، تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي – بيروت .

٢٢- الخطيب : عبد الكريم يونس (ت بعد ١٣٩٠هـ)

- التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي – القاهرة .

٢٣- ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١)

- جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين بيروت ، ط١ ١٩٨٧م .

٢٤- الرازي : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي (ت٦٠٤ هـ)

- التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى ، سنة ١٤٢١ هـ .

٢٥- رضا : محمد رشيد . (ت : ١٣٥٤هـ)

- تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١٩٩٠ م

٢٦- الزبيدي : محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الواسطي الحنفي نزيل مصر المعزية .

- تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية .

٢٧- الزركشي : بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن بهادر (ت : ٧٩٤هـ)

- البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، ط الأولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

٢٨- الزمخشري : جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل " تفسير الزمخشري " دار الكتاب العربي – بيروت ، ط الثالثة ١٤٠٧ هـ .

٢٩- أبو زهرة : محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت ١٣٩٤هـ)

- زهرة التفاسير ، دار الفكر العربي .

٣٠- زيد : مصطفى (دكتور)

- النسخ في القرآن الكريم دراسة تشريعية تاريخية نقدية ، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع ، المنصورة ، ط الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

٣١- سابق : السيد (الشيخ)

- العقائد الإسلامية ، الفتح للإعلام العربي ، القاهرة ، ط ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٣٢- السعدي : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت : ١٣٧٦هـ)

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .

٣٣- أبو السعود : محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت : ٩٨٢هـ)

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

٣٤- سعيد : عبد الستار فتح الله (الدكتور) .

- المدخل إلى التفسير الموضوعي ، دار التوزيع و النشر الإسلامية ، القاهرة ، ط ثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

٣٥- ابن سلاَّم : أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت : ٢٢٤هـ)

- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن ، دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المديفر "أصل التحقيق رسالة جامعية " مكتبه الرشد الرياض ، ط الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

٣٦- السمرقندي : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد .

- تفسير بحر العلوم " تفسير السمرقندي " تحقيق : د : محمود مطرجي ، دار الفكر بيروت .

٣٧- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت : ٩١١هـ)

- الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٣٨- شرف الدين : جعفر .

- الموسوعة القرآنية خصائص السور ، تحقيق : عبد العزيز بن عثمان التويجري ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت ، ط الأولى - ١٤٢٠ هـ .

٣٩- الشعراوي : محمد متولي (ت ١٤١٨هـ)
- الإسراء و المعراج ، دار الجيل بيروت لبنان ، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة ، ط ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
٤٠- الشوكاني : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت : ١٢٥٠هـ)
- فتح القدير ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، ط الأولى - ١٤١٤ هـ
٤١- الصابوني : محمد علي .
- صفوة التفاسير ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، ط الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
٤٢- الطبراني : أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت : ٣٦٠هـ)
- المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، ط الثانية
٤٣- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت ٣١٠ هـ)
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٤٠٥ هـ .
٤٤- ابن عادل : أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت : ٧٧٥هـ)
- اللباب في علوم الكتاب ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، ط الأولى ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .
٤٥- ابن عاشور : الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت ١٣٩٣هـ)
- التحرير والتنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد " الدار التونسية للنشر – تونس ، ط ١٩٨٤ هـ .
٤٦- عباس : فضل (الدكتور)
- قصص القرآن الكريم ، دار النفائس الأردن ، ط الثالثة سنة ٢٠١٠ م .
٤٧- العطوي : عويض بن حمود (الدكتور)
- جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف ، مركز تدبر للاستشارات ، ط١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
٤٨- ابن عطية : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت : ٥٤٢هـ)

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى ١٤٢٢ هـ .

٤٩- الغزالي : حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥ هـ)

- إحياء علوم الدين ، مكتبة مصر ، القاهرة ، سنة ١٩٩٨م .

٥٠- الغزالي : محمد (الشيخ)

- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، دار الشروق ، القاهرة ، ط سابعة سنة ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٥ م

٥١- ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت ٣٩٥)

- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ .

٥٢- الفراهيدي : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (١٠٠_ ١٧٥هـ)

- كتاب العين ، تحقيق : د مهدي المخزومي ، د إبراهيم السامرائي ، دار و مكتبة الهلال

٥٣- الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت : ٨١٧ هـ)

- القاموس المحيط ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط الثامنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

٥٤- القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ)

- الجامع لأحكام القرآن ، تقديم : هاني الحاج . تحقيق و تخريج : عماد زكي البارودي _ خيري سعد المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

٥٥- ابن القيم : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي(ت ٧٥١ هـ)

- تهذيب مدارج السالكين في منازل إياك نعبد و إياك نستعين ، هذبه : عبد المنعم صالح العلي العزي ، دار التوزيع و النشر الإسلامية ، القاهرة .

٥٦- الكفوي : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت١٠٩٤ هـ / ١٦٨٣ م)

- الكليات ، قابله د : عدنان درويش ، محمد المصري . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثانية ، سنة ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .

٥٧- لجنة من علماء الأزهر .

- المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر، طبع مؤسسة الأهرام ، ط الثامنة عشر ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

٥٨- الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ)
- النكت والعيون " تفسير الماوردي " تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
٥٩- مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت : ٢٦١هـ)
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ρ " صحيح مسلم " تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٦٠- مسلم : مصطفى " أ . د "
- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، إعداد نخبة من علماء التفسير و علوم القرآن ،كلية الدراسات العليا و البحث العلمي جامعة الشارقة ، ط ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
٦١- المصلح : عبد الله بن عبد العزيز (أ . د) عبد الجواد الصاوي (دكتور)
- الإعجاز العلمي في القرآن و السنة " منهج التدريس الجامعي " الهيئة العالمية للإعجاز في القرآن والسنة ط ١٤٢٩هـ ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية .
٦٢- المقري : أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي (ت ٤١٠هـ)
- الناسخ والمنسوخ ، تحقيق : زهير الشاويش ، محمد كنعان ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط الأولى ١٤٠٤ هـ .
٦٣- النبهان : محمد فاروق (دكتور)
- المدخل إلى علوم القرآن ، دار عالم القرآن حلب ، ط الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٦٤- النجار : زغلول (دكتور)
- من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ج٣ ، مكتبة الشروق الدولية . ط العاشرة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
٦٥- نخبة من أساتذة التفسير .
- التفسير الميسر ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية ، ط الثانية مزيدة ومنقحة ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م .
٦٦- النسفي : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت : ٧١٠هـ)
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل " تفسير النسفي " تحقيق وتخريج أحاديث: يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب بيروت ، ط الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
٦٧- ابن هشام : جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت : ٢١٣هـ)

٦٨- السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م .

- المجلات و الموسوعات و المواقع الإلكترونية .

١- طريق الإسلام ، أبو حفص عماد الدين فضلون .

٢- مركز تفسير للدراسات القرآنية " التفسير الموضوعي " عن مجلة البيان العدد ١٦٥ ، جمادى الأولى ١٤٢٢هـ - أغسطس ٢٠٠١م .

٣-مجلة المصور : تفسير القرآن بالخرائط و الصور ، مقال للأستاذ رجاء النقاش ، ٣ نوفمبر ١٩٧٢م

٤- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة ، مقال : الأدلة العلمية و الشرعية على انشقاق القمر ، دبسام محمود الأمير تاريخ النشر : ١٤ / ٦ / ٢٠١٠ .